

جزء فيه أكثر من (١٠٠) مسألة،

هي خطوات سيرك...

مـن دار الفـرار إلى دار القـرار،

هي فقه خطواتك إلى الجنة.

تأليف

د. عبد الله بن حمود الفريح



فِقْهُ الِانْتِقَالِ

مِنْ دَارِ الْفِرَارِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ

ح مدار الوطن للنشر ، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريح، عبد الله حمود

فقه الانتقال من دار الفرار إلى دار القرار .

/عبد الله حمود الفريح ـ الرياض، ١٤٣٨هـ

٢١٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٦ ـ ٨٠ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ـ الوعظ والإرشاد أ ـ العنوان

ديوي : ٢١٣ ١٤٣٨/٢١٩٩

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٢١٩٩

ردمك: ٦-٨٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م



المملكة العربية السعودية – الرياض

ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) – ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع مخرج ١٥ ت: ١١٤٤٥٤١٢٤ جوال: ٠٥٠٣٢٨٢٣١٨

K.S.A / Riyadh11312 P.O.Box: 245760

Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096

Exit15 -Tel.114454124 Mob. 0503282318

مندوبي التوزيع

الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ الغربيه: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

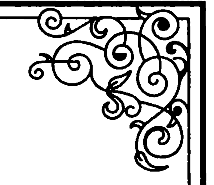
الشرقيه الشمالية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨

التوزيع الخيري الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

مسؤل الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

الموقع الإلكتروني | **www.madaralwatan.com.sa**

البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com

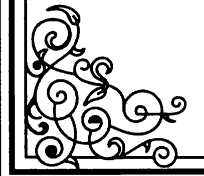
فِقهُ الانتِقالِ

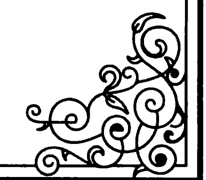
مِنْ دارِ الفرارِ إلى دارِ القرارِ

جزء فيه أكثر من (١٠٠) مسألة ، هي خطوات سيرك .....
من دار الفرار إلى دار القرار ، هي فقه خطواتك إلى الجنه

تأليف

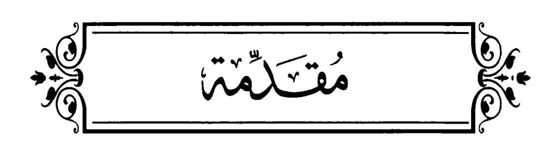
د . عبد الله بن حمود الفريح









مقدمة

الحمد لله الذي كتب الفناء على كل شيء، واستثنى البقاء لوجهه ذي الجلال والإكرام فقال: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

أحمده حمدًا يليق بجلاله، خلقنا ورزقنا، وهدانا النَّجدين، وبيَّن لنا حقيقة الحال والمآل، فبيَّن حقيقة الدار التي نحن ساكنوها، والدار التي سنؤول إليها أعظم بيان فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

والصَّلاة والسَّلام على خير من أقبل بقلبه، وعمله على الدار الباقية، مدبرا عن الدار الفانية قائلا: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(١)، ﷺ تسليما مزيدًا، ما تعاقب الليل والنهار في دار الفرار إلى يوم القرار، ورضوان ربي على الصحابة الغر الميامين، الذين فقهوا الدنيا والدين، فلفظوا الأولى وأقبلوا على الأخرى، ثم تبعهم على هذا الفقه التابعين، الذين ضربوا أروع الأمثلة للمقتدين، ولسان حال أحدهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.



ثم أمَّا بعد...أخي المترحل عن الدنيا:

هذه صفحات، وإن شئت فقل عظات؛ سببها ما رأيته من نفسي المقصرة، الخائفة من الاغترار بالدنيا والاستكانة لها، وهي في حال غافلة، مستأنسة بدار فانية، حتى أصبحتُ مع مرور الأيام أعاملها وكأنها الباقية، وهي في حقيقتها دار زائلة، هي حياةُ عناء، نعيمها بلاء، وجديدها يبلَى، ومُلْكها يفنى، وودُّها ينقطع، وخيرها يُنتزَع، نتعلَّق بها ونحن إمَّا في نِعَم زائلة، أو في بلايا نازلة، أو منايا قاضية؛ ولذا تعوَّذ النبي ﷺ من فتنتها، والركض خلف زهرتها التي ما أن تلبث إلا وتذبل: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

والسعيد من عرف حقيقتها، فاستعد لما أمامه، فالسفر بعيد يتطلب منك المزيد، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ترحَّل عن الدنيا بزاد من التقى ** فعمرك أيام وهنَّ قلائل

هي صفحات بيَّنْتُ فيها فقه طريق المسلم من داره الفانية، إلى داره الباقية، ضمنتها سبعة عشر فصلًا مشتملة على أكثر من مائة مسألة، مرقَّمة برقمين: الأيمن منهما للفصل، والأيسر للمسألة.

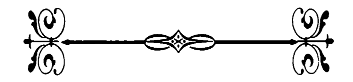
هي مسائل فيها الدلالة والبيان، حتى الوصول إلى الجنان، لفقه ما سيواجه كل مسلم وينبغي، من وصية واحتضار وسكرات، وفي القبر ظلمة وضغطة وسؤالات، ثم البعث والقيام لرب الأرض والسماوات، ثم ما يكون في تلك العرصات، من حشر وهمٍّ وغمٍّ وعرق، وبحث عن الشفاعات، ولقاء مع رب البريات، وأهوال مفزعات، حتى في هذه الأفلاك والكائنات، وحوض وحساب وميزان وصراط فيه تجاوز، وفيه تزل أقدام بحسب ما ارتكبت من الزلات، وخارت دون تقديم أعمال منجيات، ثم قنطرة، ثم جنات، تجري من تحتها الأنهار أعدت للسابقين إلى الخيرات.

وإني أرجو الله القبول بعد حسن العمل، وحسن التَّجاوز على أحسن حال إلى دار المآل، لي ولك أخي القارئ، وألا يجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، وأن يجعل الجنة هي دارنا وقرارنا، كما أرجوه أن يعطيني أجر الدلالة في بيان هذا الطريق، طريق الانتقال فـ «دَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[1]، فأسأله أن يتقبل صفحاتي هذه، ويتجاوز عن غفلاتي، ويهوِّن عليَّ سكراتي، وأيام قبـري وعرصاتي، ويرجح حسناتي على سيئاتي، حتى أظفر بالفوز المقيم في أعالي الجناتِ، وأسأله مثلها لقارئ كلماتي، ولوالدينا، وجميع المسلمين والمسلماتِ.

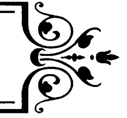
ثم قد تعرف -أيها المبارك- من خلال قراءتك لفقه هذا الطريق ما هو أصوب مني وأدلُّ، فسدِّد خللي، واعف عن زللي، وتذكر ضعفي وقلة بضاعتي، وبادر بنصحي وتعديل خطئي، ولك نصيب من دعائي، وثنائي على حسن صنيعك لي.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه / عبد الله بن حمود الفريح
الحدود الشمالية - رفحاء
forih@hotmail.com



(١) جزء من حديث رواه البخاري برقم (٢٨٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».



فقه الانتقال من دار الفرار إلى دار القرار

١- فصل في: [بيان حقيقة دار الفرار].

٢- فصل في: [أحكام ينبغي مراعاتها قبل الموت لتعلقها به].

٣- فصل في: [ما ينبغي فعله لمن نزل به الموت].

٤- فصل في: [الاحتضار، وخروج الروح].

٥- فصل في: [ما ينبغي فعله بالميت بعد موته].

٦- فصل في: [تغسيل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه].

٧- فصل في: [القبر].

٨- فصل في: [البعث].

٩- فصل في: [الحشر].

١٠- فصل في: [أهوال يوم القيامة].

١١- فصل في: [أحوال الناس في يوم القيامة].

١٢- فصل في: [الشفاعة].

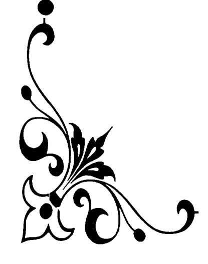
١٣- فصل في: [الحساب].

١٤- فصل في: [الميزان].

١٥- فصل في: [الحوض].

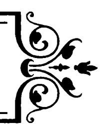
١٦- فصل في: [الحشر إلى دار القرار].

١٧- فصل في: [الصراط].









فصل في: بيان حقيقة دار الفرار

مسألة ١/١: حقيقة الدار الفانية دار الغرور:

إنَّها حياة عناء، ونعيمها بلاء، جديدها يبلَى، ومُلْكها يفنى، ووِدُّها ينقطع، وخيرها يُنتزَع، والمتعلِّقون بها إمَّا في نِعَم زائلة، أو في بلايا نازلة، أو منايا قاضية، فهي ليست بدار قرار بل هي متاع زائل يُغَرُّ به أهله: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، وهذا المعنى -وهو كونها متاع- كُرِّر في القرآن كثيرًا، وما ذاك إلا لبيان حقيقة يغفل عنها الناس كثيرًا.

والمرء في الدنيا بين حالين:

١- بين حال قد مضى لا يدري ما الله -تعالى- صانع فيه.

٢- وأجل بقي لا يدري ما الله -تعالى- قاضٍ فيه.

فيا رب رحماك، ارزقنا الإقبال على الآخرة، والزهد في الدنيا.

جاء في السُّنة نصوص كثيرة تبيِّن قدر هذه الدنيا، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**وَالله، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ، إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ** -وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ- **فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٥٨).

ومر النَّبيُّ ﷺ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[١] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ! قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ، لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: «**فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[٢].

وفي هذا الحديث أعظم بيان لمقدار الدنيا، فالنَّبيُّ ﷺ يعرضها بمال زهيد، بدرهم، ثم بلا مقابل، فيقول: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» ويأباه الصحابة رضي الله عنهم حتى لو كان أحسن حالا بأن كان حيًّا، ثُم النَّبيُّ ﷺ يحلف لهم، وهو الصادق المصدوق، أنَّ الدنيا أهون على الله -تعالى- من هذا الجدي عليهم.

والنصوص في بيان حقارة الدنيا، وهوانها، وزوالها كثيرة، وما ذاك إلا لكثرة الراكضين وراءها، المنهمكين في متاعها، المغترِّين بنعيمها، نسأل الله السلامة، والعافية، والمعافاة الدائمة، في الدنيا والآخرة.

ولذا قال ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي، وقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ**»[٣].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ»[٤].

---

(١) **الأسكُّ**: هو صغير الأذنين، ويُطْلَق على فاقدهما، وعلى مقطوعهما، وعلى الأصمِّ الذي لا يسمع.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٥٧).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٣٣٣)، وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري معلقا مجزومًا به، وانظر الكلام على هذا الأثر في الفتح (١١/ ٢٤٠).

وما أجمل قول الشاعر:

وما هذه الأيام إلا مراحل ** يحثُّ بها داع إلى الموت قاصد
وأعجب شيء لو تأملت أنها ** منازل تطوى والمسافر قاعد

وقول الآخر:

نسير إلى الآجال في كل لحظة ** وأيامنا تطوى وهنَّ مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقا كأنه ** إذا ما تخطَّته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصِّبا ** فكيف به والشيب للرأس شامل؟
ترحَّل عن الدنيا بزاد من التقى ** فعمرك أيام وهنَّ قلائل

۞ مسألة ٢/١: يُسَنَّ الإكثار من ذِكْر الموت.

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي: الْمَوْتَ**[(١)].

وفائدة ذكر الموت: أنه يورث اجتهادا في العمل، وإقبالا على الآخرة، وبعدا عن الدنيا، وما فيها من غرور.

قال ثابت البُناني رَحِمَهُ اللَّهُ: «طوبى لمن ذكر ساعة الموت، وما أكثرَ عبدٍ ذِكرَ الموت إلا رؤي ذلك في عمله»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٣٠٧)، رواه النَّسَائي برقم (١٨٢٥)، وصححه ابن حبان، و«هاذم اللذات»: قاطعها، فهو يقطع لذائذ الدنيا، ويقبل بالقلب على الآخرة، ويروى بالدال: **(هادم اللذات)** من هدم البناء، والموت يهدم بناء لذائذ الدنيا، ويروى بالزاي: **(هازم اللذات)** أي: قاهرها وغالبها.

(٢) انظر: حلية الأولياء (٢/ ٣٢٦).

وينبغي للمسلم أن يحرص على ما يذكره بالحقيقة التي سيُقبل عليها، وهي: الموت، ومما يساعد على ذلك: (زيارة القبور)، وهذه سُنَّة حث عليها النبيُّ ﷺ كما في حديث علي رضي الله عنه: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ**»[1]، وفي رواية: «**تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ**»[2].

❁ **مسألة ٣/١: تمني الموت؛ بسبب ضُر نزل: منهي عنه.**

فمن أصيب بضُرٍّ من مرض ونحوه، فإنه لا يتمنى الموت بسبب ذلك الضر؛ لحديث أنس رضي الله عنه، أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا؛ فَلْيَقُلْ: اللهمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[3].

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «**لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا**»[4]، فدلَّ الحديث على النَّهي عن تمني الموت، وعن الدعاء به على النفس؛ لأنَّ زيادة العمر خير للإنسان إذا استغلَّه، فهو إمَّا يزيد في الطاعة، أو يستغفر عن الذنب، وجاء في لفظ البخاري: «**لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**»[5].

---

(١) رواه أحمد برقم (١٢٣٦) واللفظ له، رواه مسلم برقم (٩٧٧) من حديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما.

(٢) رواه النسائي برقم (٢٠٣٥)، رواه ابن ماجه برقم (١٥٧٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٧١)، رواه مسلم برقم (٢٦٨٠).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٦٨٠).

(٥) رواه البخاري برقم (٧٢٣٥)، «يستعتِب»: أي: يطلب رضا الله -تعالى- بالإقلاع، والاستغفار.

ويُستثنى من ذلك حالتان يُشرع للإنسان فيهما تمنِّي الموت:

الأولى: إذا خَشِي على دينه من الفتنة.

ويدلُّ على ذلك:

أ- قوله -تعالى- عن مريم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣] وذلك حينما حملت، وخافت على نفسها العار، بأن تتهم في عرضها كونها جاءت بولد من غير أب، وعلى هذا يُحمل ما ورد من الأخبار في تمنِّي السلف للموت، بأنهم خافوا على دينهم من الفتنة.

ب- حديث معاذ رضي الله عنه الطويل، وفيه: قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**»[١]، وموت الإنسان ولو بعد عمر قصير غير مفتون، خير له من أن يموت مفتونًا.

الثانية: إذا كان موته شهادة في سبيل الله -تعالى-.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**»[٢].

ب- حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٣].

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٢٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦)، رواه مسلم برقم (١٨٧٦).

(٣) رواه مسلم برقم (١٩٠٨).



فصل في: أحكام ينبغي مراعاتها قبل الموت لتعلقها به

أولا: الوصيَّة

مسألة ٢/٤: تعريف الوصيَّة.

الوصيَّة في اللغة: مأخوذة من وصيت الشيء إذا وصلته، وسميت بذلك؛ لأن الموصِي وصل بعض التصرف الجائز له في حياته ليستمر بعد موته[١].

والوصِيَّة في اصطلاح الفقهاء: هي الأمر بالتصرف بالشيء بعد الموت، أو بعبارة **أخرى**: هي التبرع بالمال بعد الموت.

مسألة ٢/٥: حكم الوصيَّة.

نقل ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع على جواز الوصيَّة، فقال: «وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية»[٢]، والوصيَّة تكون مستحبة، وواجبة، ومكروهة، ومحرمة.

- **فالوصيَّة المستحبة**: هي الوصيَّة بشيء من مالِه يُصرف في سبيل الخير، والإحسان؛ ليصل إليه ثوابه بعد وفاته، وهذا إذا كان له مال كثير وورثته أغنياء، وهذا مما أذن فيه الشارع؛ ليكون فرصة له في تكثير الأعمال الصالحة بعد المات على ألَّا تتعدى الوصية ثلث المال، كما سيأتي.

(١) انظر: لسان العرب/ مادة (وصي) (١٥/ ٣٢٠).

(٢) انظر: المغني (٨/ ٣٩٠).

ومما يدلُّ على مشروعية الوصيَّة حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»[١].

فـائدة: ذكر الليلتين في الحديث ليستا تحديدا، وإنما المراد ألَّا يمر عليه زمن قصير، إلا ووصيته مكتوبة عنده.

- **والوصيَّة الواجبة**: هي الوصيَّة بما عليه من حقوق، سواء كانت هذه الحقوق لله -تعالى- ؛ كزكاة لم يُخرجها، أو حج وجب عليه وفرَّط فيه، أو كفَّارة، ونحوها مما يجب عليه بأصل الشرع.

أو كانت هذه الحقوق للآدميين؛ كالدَّيْن، وأداء الأمانات، فهذه الوصيَّة واجبة لا سُنَّة؛ لأنه يتعلَّق بها حقوق واجبة، لاسيما إذا لم يعلم بهذه الحقوق أحد، والقاعدة أن: (**ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**).

فـائدة: تجب الوصيَّة للأقربين الذين ليس لهم حق في الإرث، وكانوا فقراء، والموصي غني، فهُنا تجب الوصيَّة لهؤلاء الأقارب.

ويدلُّ على ذلك: قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠]، قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: فُرِضَ عليكم، وقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي: ترك مالا كثيرًا، فيجب عليه أن يُوصي لوالديه إن كانا ممنوعين من الإرث، وأقرب الناس إليه بالمعروف.

وذهب جمهور المفسرين -رحمهم الله- إلى أنَّ هذه الآية منسوخة، **والصواب**: عدم نسخها؛ لعدم الدليل الصحيح على النسـخ[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٨٣)، رواه مسلم برقم (١٦٢٧).

(٢) انظر: تفسير السعدي لهذه الآية.



- وتكون الوصيَّة مكروهة:

إذا كان مال الموصِي قليلا وورثته محتاجون؛ لأنه بهذه الوصيَّة ضيَّق على الورثة، وخالف قول النَّبيِّ ﷺ لسعد بن مالك رضي الله عنه، بعدما أراد أن يُوصي بنصف ماله، نهاه النَّبيُّ ﷺ وقال له: «**الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»(١).

- وتكون الوصيَّة محرَّمة في حالتين:

الأولى: إذا زاد في وصيته على الثلث من ماله؛ لورود النَّهي عن ذلك، كما في حديث سعد رضي الله عنه الذي تقدَّم، إلَّا إذا رضِي الورثة؛ لأن ما زاد عن الثلث حق لهم، فإذا تنازلوا عنه جاز ذلك.

والثانية: إذا أوصى لوارث؛ لورود النَّهي عن ذلك أيضا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»(٢)، ولا وصية لوارث بالاتفاق(٣).

ويُستثنى من ذلك: إذا رضي الورثة كلهم بالوصية، بأكثر من الثلث، أو الوصية لأحد الورثة، فإن الوصيَّة حينئذ تصح؛ لأنه حق لهم تنازلوا عنه، ومع ذلك لا ينبغي للموصِي أن يفعل ذلك حتى لو عَلِم أنَّ الورثة سيرضون للأضرار التي ربما تلحق بعد ذلك.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٣٦)، رواه مسلم برقم (١٦٢٨).

(٢) رواه أحمد برقم (١٧٧٦٣)، رواه أبو داود برقم (٢٨٧٠)، رواه ابن ماجه برقم (٢٧١٣)، وصححه الألباني في الإرواء (٦/ ٨٧).

(٣) انظر حاشية الروض (٦/ ٤٧).

۞ **مسألة ٦/٢: لا يجوز الإضرار بالوصية؛ لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾.**

والإضرار بالوصيَّة يكون من قبل المُوصِي، ويكون من قبل الموصَى إليه.

من الموصِي: كأن يوصي بأكثر من الثُلث، أو يوصي لغير الوارثين مع أنَّ الوارثين محتاجون.

ومن الموصَى إليه: كأن يُهمِل الوصية، فلا يقوم بها، أو يتصرَّف فيها بما ليس فيه مصلحتها، كأن يتصرَّف بما فيه إفسادٌ لها، أو بما ينقص منها، وقد أوعد الله -تعالى- من بدل فيها فقال تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٨١].

۞ **مسألة ٧/٢: يجوز الوصية بكل المال لمن لا وارث له.**

وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم -رحمهم الله-؛ لأن النَّبيَّ ﷺ نهى عن الوصيَّة بأكثر من الثُلث؛ لأجل الورثة، والحكم يدور مع عِلَّته، فمن لا ورثة له فلا نهي في حقه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «الصحيح أن ذلك له؛ لأنه إنما منعه الشارع فيما زاد على الثُلث إذا كان له ورثة، فمن لا وارث له لا يعترض عليه فيما صنع في ماله»[١].

۞ **مسألة ٨/٢: الوصيَّة بالإشهاد معتبرة إذا تعذَّرت الكتابة.**

وذلك كأن يكون الموصِي أميًّا لا يعرف الكتابة، وليس عنده من يكتب له، فيُشهِد حينئذ على الوصيَّة؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

---

(١) انظر: حاشية الروض (٦/ ٤٥).



وللإشهاد ثلاثة شروط: أن يكون الشاهدان مسلمَيْن، عدلَيْن، وذكرين، وإذا تعذَّر الإسلام جـاز أن يكون غير مسلم.

۞ مسألة ٢/٩: يجوز التغيير، أو الرجوع في الوصية.

فالوصيَّة من العقود الجائزة لا تلزم إلا بعد الموت، وأمَّا قبل ذلك فيجوز له التغيير، والرجوع فيما أوصى به.

۞ مسألة ٢/١٠: هل الأفضل للموصِي أن يُوصي بالثُلث، أو أقل من ذلك؟

الأفضل في حقِّ الموصي أن يُوصِي بأقل من الثُلث؛ لحديث سعد ﵁ وفيه: قال له النَّبيُّ ﷺ: «**الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**»، ولقول ابن عباس ﵄: لو أن الناس غَضُّوا من الثلث إلى الربع؛ لأنَّ الرسول ﷺ قال: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**»، وأوصى أبو بكر الصديق ﵁ بالخُمس، فإذا أوصى الإنسان بالربع، أو الخُمس كان أفضل من الثُلث، ولاسيما إذا كان المال كثيرًا، وإن أوصى بالثُلث فلا حرج[١].

۞ مسألة ٢/١١: مما ينبغي كتابته في الوصيَّة.

١- أن يصدِّر وصيته بعد الحمدلة، والشهادتين بالوصيَّة لأهله وأولاده بتقوى الله -تعالى-، وتحقيق التوحيد، وإصلاح ذات بينهم وطاعة الله -تعالى- ورسوله ﷺ، فإن هذه الأمور لها قبول إن جاءت من ميِّت.

٢- ثُم يُوصِي بسداد ما عليه من حقوق الديون، ونحوها.

٣- ثُم يوصِي أهله بتحرِّي فعل السُّنة من تغميض عينيه، وتغسيله، وتكفينه، ودفنه وفق ما جاءت به السُّنة.

---

(١) انظر: فتاوى إسلامية لابن باز جمع محمد المسند (٣/ ٣٥).

٤- إن كان في مجتمع يكثر فيه الجهل أوصى أهله باجتناب البدع، والمنهيات من لطم للخدود، وشق للثياب، والنياحة ونحو ذلك مما جاء النَّهي عنه.

٥- يوصِي بأن يصلي عليه فلان من الناس المشهود له بالصلاح، والتقوى، والعلم، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم (حيث أوصى أبو بكر أن يُصلِّي عليه عمر، وعمر أوصى أن يُصلِّي عليه صهيب، وأم سلمة أوصت أن يُصلِّي عليها سعيد بن زيد، وعائشة أوصت أن يُصلِّي عليها أبو هريرة، وابن مسعود أوصى أن يُصلِّي عليه الزبير رضي الله عنهم).

٦- يوصِي بأن يُزال كل منكر كان متسببا فيه، ولم يستطع في حياته أن يزيله، لعل أبناءه يقومون من بعده بإزالته.

٧- يُوصِي بأن يسرعوا بجنازته إسراعا متوسطا، كما جاءت به السُّنة في تكفينه، والصلاة عليه، ودفنه.

٨- يُوصِي بثُلث ماله، أو أقل منه من مال، أو عقار للمحتاجين، وتقدَّم بيان ذلك.

٩- الإشهاد على الوصيَّة بعد الفراغ منها، أو ختمها، أو نحو ذلك مما يُوثِّقها، ويحفظها من التلاعب.

ثانيًا: قضاء الديون

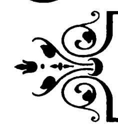
ينبغي للعبد قبل أن توافيه المنيَّة أن يُخْلِص ما عَلُقَ في ذمَّته من حقوق، فلربما تهاون ورثته، وأقاربه من بعده بسداد ما انشغلت به ذمَّته، كما هو مشاهد في واقعنا اليوم -وبكثرة مع شديد الأسف- وسواء كان دَيْنًا لله -تعالى- كالزكاة، والكفَّارة، ونذر الطاعة، والحج، أو كان للآدميين كقرض، أو ردِّ أمانة، ونحوهما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»[1].

وسيأتي الكلام عن قضاء الدين بمزيد من الأدلَّة بعد فصلين، بإذن الله -تعالى-.

---

(١) رواه أحمد برقم (١٠٥٩٩)، رواه الترمذي برقم (١٠٧٨)، وقال: «هذا حديث حسن».





فصل في: ما ينبغي فعله لمن نزل به الموت

مسألة ١٢/٣: هل للموت ملَكٌ مُوكَّل به؟

نعم للموت مَلَك موكَّل بقبض الروح من البدن، اسمه: ملك الموت، ولك أيها المبارك موعد معه لا يتقدَّم، ولا يتأخَّر، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وأمَّا ما اشتهر عند الناس بتسميته (عزرائيل) فغير صحيح وغير ثابت عن النَّبيِّ ﷺ[١].

فائدة: (**الموت**) من حيث إيقاعه جاء مضافا في القرآن على ثلاثة أضرب:

الأول: مُضافا إلى: (**ملك الموت**) كما في الآية السابقة؛ لأنه هو الذي يتولَّى قبض الروح من البدن.

والثاني: مضافا إلى (**الملائكة**)، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وهنا أضيف إلى (**الملائكة**)؛ لأنهم أعوان لملَك الموت.

والثالث: مضافا إلى الله ﷻ حيث قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وأضيف إيقاعه إلى الله -تعالى- ؛ لأنَّ الموت يكون بأمره سبحانه وتعالى.

مسألة ١٣/٣: يُسَنَّ تلقين الميت كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله).

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[٢].

---

(١) انظر: الممتع (٥/ ٢٤٥).

(٢) رواه مسلم برقم (٩١٦).

وأيضا جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[(١)].

ب- وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

وقال القرطبي رحمه الله: «وفي أمره ﷺ بتلقين الموتى ما يدل على تعيُّن الحضور عند المحتضر؛ لتذكيره، وإغماضه والقيام عليه، وذلك من حقوق المسلم على المسلمين»[(٣)].

من طريف ما يُذكر أن أبا زُرْعَة رحمه الله المحدِّث الكبير من عمالقة أهل الحديث، لَمَّا حضرته الوفاة أراد تلاميذه أن يلقنوه: لا إله إلا الله، فاستحيوا منه؛ لأنه مُحدِّث أهل الأرض -ولا حياء في مثل هذا- فأرادوا يُذَكِّرُوه بسند الحديث وهو يفهمها، فهو يعرف بضاعته، فأغمي عليه فتلعثموا، واختلفوا في رجل في السند أهو شُعْبة، أو الأَعْمش سليمان بن مهران، فاستفاق وسمع اختلافهم في السند، فقال: حدثنا فلان، عن فلان، عن فلان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[(٤)].

وحدثنا فلان، عن فلان، عن معاذ، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٥)] ثم مات، وهذا من علامات حُسْن الخاتمة، نسأل الله من فضله.

---

(١) رواه مسلم برقم (٩١٧).

(٢) رواه أبو داود برقم (٣١١٦)، والحاكم (١/ ٥٠٣) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: المفهم (٢/ ٥٧٠).

(٤) رواه مسلم برقم (٩١٦).

(٥) رواه أبو داود برقم (٣١١٦)، والحاكم (١/ ٥٠٣) وصححه، ووافقه الذهبي.



۞ **مسألة ١٤/٣: وهل يأمره بذلك فيقول له قل: (لا إله إلا الله)؟**

الأظهر -والله أعلم- أنَّ هذا يختلف باختلاف حال المحتضر.

- **فإن كان كافرا**؛ فإنه يؤمر بها، فيقال له: قل: **(لا إله إلا الله)**.

ويدلُّ على ذلك: حديث المسيَّب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبي ﷺ لمَّا حضرت عمه أبا طالب الوفاة، أمره فقال له: «**يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[1]؛ ولأنه إن قالها نال فلاحا عظيما، وإلا فهو كافر في الأصل.

- **وإن كان مؤمنا قوي الإيمان يتحمَّل ما يؤمر به**؛ فإنه يؤمر فيقال له: قل **(لا إله إلا الله)**.

ويدلُّ على ذلك: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار (وفي رواية: من بني النجار) فقال: «**يَا خَالُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[2].

وسبب قول النَّبيِّ ﷺ له: «**يَا خَالُ**»؛ لأن الرجل من بني النجار، وبنو النجار أخوال عبد المطلب جَدِّ النَّبي ﷺ.

- **وإن كان مؤمنا ضعيف الإيمان لا يحتمل الأمر**؛ فإنه لا يُؤمر بها، بل تُذكر عنده كلمة التوحيد؛ ليسمعها فيذكُرها.

والتعليل: لأنه في حال يحتاج معها إلى من يرفق به، فربما يتضجر حين يُؤمر بذلك؛ لعدم تحمُّله، وربما تكلم بما لا يليق؛ لضيق حاله وشِدَّة كربه، فيُستحسن الرفق به؛ ليخرج من الدنيا على أحسن حال تناسبه.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٠)، رواه مسلم برقم (٢٤).

(٢) رواه أحمد برقم (١٢٥٤٣)، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم.

مسألة ١٥/٣: هل تُكرَّر عليه كلمة التوحيد؟

الأظهر -والله أعلم- أنها لا تُكرَّر عليه بل يلقَّن مرَّة واحدة، إلا إذا لم يستجب، فيلقَّن مرَّة أخرى؛ لأن النَّبيَّ ﷺ حين عرض على عَمِّه كلمة التوحيد، جاء في لفظ الحديث: «فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ»(١).

ولا شكَّ أنَّ حال المؤمن يختلف عن الكافر، وهو عمُّ النَّبيِّ ﷺ كما في الحديث السابق، ولكن تكرارها على المؤمن؛ ليختم هذه الدنيا بكلمة التوحيد؛ ليقولها فيرث الجَنَّة ذلك المبتغى العظيم، فإن لم يستجب استحب أهل العلم تكرارها ثالثة عليه؛ استدلالا بفعل النَّبيِّ ﷺ أنه: «كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا»(٢).

ولكن ينبغي لمن يُكَرِّر عليه كلمة التوحيد أن يكررها بِرِفق ومداراة، فلئن كان الرِّفق لم يأتِ على شيء إلا زانه فإنه في هذا الموضع لآكد، نسأل الله -تعالى- أن يجعل آخر كلامنا من الدنيا: لا إله إلا الله.

مسألة ١٦/٣: هل من السُّنة قراءة سورة (يس) عند المحتضَر؟

استدل من قال بالسُّنيَّة بحديث معقل بن يسار رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اقْرَءُوا (يس) عَلَى مَوْتَاكُمْ**»(٣)

ولكنه حديث ضعيف؛ في سنده أبو عثمان وأبوه وهما مجهولان، وضعفه ابن القطان لاضطراب في سنده(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٠)، رواه مسلم برقم (٢٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٩٤).

(٣) رواه أحمد برقم (٢٠٣٠١)، رواه أبو داود برقم (٣١٢١)، رواه ابن ماجه برقم (١٥٢٢).

(٤) انظر: بيان الوهم والإيهام (٥/ ٤٩).



ونقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول ابن العربي عن الدارقطني حيث قال: «هذا الحديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصحُّ في الباب حديث»(١).

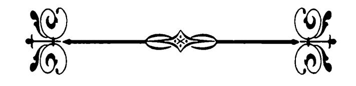
وبناء على ما سبق، لا يُسَنُّ قراءة سورة يس على المُحتضَر.

۞ مسألة ١٧/٣: هل من السُّنة توجيه المُحتضَر إلى القِبلَة؟

استدل من قال بالسنيَّة بحديث عمير بن قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن البيت الحرام: «**قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**»(٢)، وبحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعا: «**وَأَشْرَفُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ**»(٣)، وكِلا الحديثين ضعيف، قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكِلا الحديثين ضعيف»(٤).

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يأتِ نصٌّ بتوجيهه إلى القِبلَة»(٥).

وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «توجيه المحتضَر للقِبلَة أنكره سعيد بن المُسيَّب؛ كما في المُحلى (٥/ ١٧٤)، ومالك كما في المدخل (٣/ ٢٢٩-٢٣٠)».



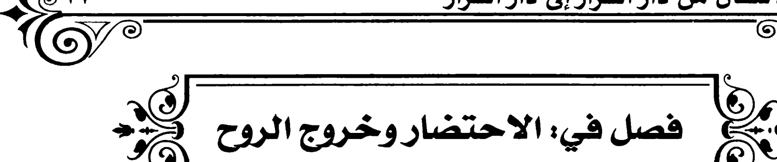
(١) انظر: التلخيص (٢/ ١١٠).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٨٧٥).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٥٥)، رواه الحاكم (٤/ ٣٠٠)، رواه البيهقي (٧/ ٢٧٢).

(٤) انظر: الممتع (٥/ ٢٥١).

(٥) انظر: المحلى (٥/ ١٧٤).



فصل في: الاحتضار وخروج الروح

۞ مسألة ١٨/٤: كل إنسان له مع الموت أجل ثابت يسير إليه مع مرور الأيام، فلابد من الاستعداد ليوم الاحتضار.

وهو أجل معلوم عند الله -جلَّ وعلا- فهو العليم وهو الخبير، أمَّا نحن فلا نعلم وقته ولا مكانه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

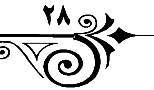
والموت حقيقة لا بد منه لكل مخلوق فهو حتم على الملوك والمساكين والصغار والكبار والرجال والنساء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، والحياة الكاملة هي لرب العالمين: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ولا يمكن أن يموت أحد إلا والله -جلَّ وعلا- أذِن بذلك وعَلِمه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وإذا أراد الله -تعالى- لإنسان إن يموت فلن يستطيع منع ذلك، ولو تحصَّن وأحاط نفسه بكل ما يملك من الأشياء، فلن يمنع الأجل، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

نسأل الله -سبحانه- حسن الختام، بعد حسن العمل، إنه جواد كريم.



۞ **مسألة ١٩/٤: سكرات الموت عصيبة جدا.**

وقد عانى منها رسول الله ﷺ، ففي مرض موته كان بين يديه إناء فيه ماء فجعل يدخل يده في الماء ويمسح بها وجهه، ويقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»[١]، هذه هي أشرف نفس تقول هذا؛ فكيف بمن هو دونه بأبي هو وأمي؟ فيا لها من لحظات وأنت تعاني هذه السكرات.

ولقد وصف سكرات الموت بعض العقلاء أثناء معاناتهم لها، من أولئك: الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، عندما حضرته الوفاة، قال له ابنه: يا أبتاه! إنك لتقول: يا ليتني ألقى رجلًا عاقلًا لبيبًا عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لي، فقال: يا بني، والله كأن جنبي في تخت، وكأني أتنفس من سَمِّ إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي، ثم أنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ** في تلال الجبال أرعى الوعولا[٢]

۞ **مسألة ٢٠/٤: عند الاحتضار يتمنَّى الإنسان الرجعة للدنيا.**

فإن كان كافرًا تمنَّى الرجعة؛ لعله يُسلِم، وإن كان عاصيًا تمنى الرجعة؛ لعله يتوب، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

ولكن هذا الإسلام وهذه التوبة لن تنفعا إذا حضر الموت، وغرغر العبد، قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي: (ص ١٩).

وفي سُنن الترمذي، وابن ماجه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(١).

فعلى المرء أن يقدِّم لنفسه، ويتوب لربه -تعالى- قبل حلول الأجل:

قدم لنفسك توبة مرجوة ** قبل الممات وقبل حبس الألسن

بادر بها غلق النفوس فإنها ** ذخر وغنم للمنيب المحسن

مسألة ٢١/٤: العبد المؤمن حال الاحتضار يشتاق إلى لقاء الله -تعالى-، والعبد الكافر والفاجر يكرَه ذلك.

ويدلُّ على ذلك: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ الله، وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ فَأَحَبَّ لِقَاءَ الله وَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ الله، وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ كَرِهَ لِقَاءَ الله وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ**»(٢).

فيا رب.. نسألك في تلك اللحظات رضوانًا، وكرامةً؛ تؤهلنا للشوق إلى لقائك، ونعوذ بك اللهم من الخيبة والخسران.

ولذا فإن العبد الصالح يُطالب من يحمله على النَّعش بالإسراع إلى القبر شوقًا إلى النعيم، وأمَّا من كان سوى ذلك فينادي بالويل من المصير، ففي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ،**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٣٧)، رواه ابن ماجه برقم (٤٢٥٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٠٧).

وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»(١).

۞ **مسألة ٢٢/٤: الروح إذا خرجت من الجسد ذهبت إلى السماء.**

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا» -قَالَ حَمَّادٌ (وهو أحد الرواة): فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَذَكَرَ الْمِسْكَ- قَالَ: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ». قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ -قَالَ حَمَّادٌ: وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا- وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الأَجَلِ»(٢).

۞ **مسألة ٢٣/٤: هل هناك حديث يفصل خروج الروح وصعودها إلى السماء؟**

الجواب: نعم -أطال الله بعمرك على طاعته، من غير فتنة مضلة-، وهو حديث يعدُّ أصلًا في خروج الروح وعذاب القبر، وهو حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ**

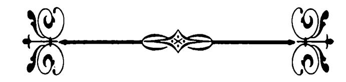
(١) رواه البخاري برقم (١٣١٤).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٧٢).

الجُنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجُنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المُوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحُنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي: بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى» قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟...».

...«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ المُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المُوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ، فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى،

فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] **فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟...»** الحديث، وفيه الأسئلة الثلاثة في القبر: **(من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟)**، وسيأتي تمامه عند الحديث عن القبر، وسؤال الملكين[1].



---

(١) الحديث جمع رواياته الشيخ الألباني، وصححه في كتابه القيِّم: (أحكام الجنائز ص ٥٩) وعزاه إلى أبي داود، والحاكم، والطيالسي، وأحمد والسياق له، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٢١٤).





فصل في: ما ينبغي فعله بالميت بعد موته



مسألة ٥/٢٤: يُسَنَّ تغميض الميت بعد خروج روحه، وقول الدعاء الوارد.

لأنه إذا مات الإنسان شخص بصرُه عاليا؛ ليتبع روحه أين تذهب، فيُسَن تغميض عينيه؛ لئلا تبقى مفتوحة، فيتشوه منظره بعد ذلك.

ويدلُّ على هذه السُّنة: حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(١).

ويؤخذ من الحديث أنه يُسَنُّ الدعاء بهذا الدعاء بعد تغميضه؛ تأسيا بالنَّبيِّ ﷺ فيقول: اللهم اغفـر لفلان -ويذكر اسم الميت- ثم يأتي ببقيَّة الدعاء.

مسألة ٥/٢٥: من السُّنة أن يُسْتَر الميت بعد موته بثوب يكون شاملا عليه.

لحديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ سُجِّيَ بِبُرْدٍ حِبَرَةٍ»(٢).

و(البُرْد): ثوب يشمل ويغطي كل الجسد، و(حِبَرة): برود، وثياب معروفة في ذلك الوقت تأتي من اليمن.

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٢٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٨١٤)، رواه مسلم برقم (٩٤٢).



مسألة ٥/٢٦: هل هناك علامات ظاهرة على الجسد تدلُّ على موت الإنسان؟

نعم هناك علامات تدل على موت الإنسان تظهر في الجسد، منهـا:

١- انخساف صدغيه، و(الصدغ) ما بين العين، والأذن.

٢- ميل الأنف.

٣- انفصال كفيه، أي: انخلاعهما من الذراعين.

٤- استرخاء القدمين، فتنفصل الرِّجل عن الكعب، فلا تكون منتصبة بل ترتخي وتميل، وزاد بعضهم: غيبوبة العينين، وامتداد جلدة الوجه[١].

مسألة ٥/٢٧: يُسَنَّ الإسراع بتجهيز الميت.

والسنيَّة تؤخذ من عموم حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»**[٢].

والمقصود من الحديث هو: الإسراع بالجنازة حيث يحتملها الرجال على أعناقهم؛ ليدفنوها، ولكن هذا أيضا يفيد الإسراع في التجهيز؛ لأن المقصود هو الإسراع بدفنه.

قال القرطبي رحمه الله: «مقصود الحديث ألَّا يتباطأ بالميت عن الدفن»[٣].

---

(١) انظر: حاشية ابن قاسم (٣/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣١٥)، رواه مسلم برقم (٩٤٤).

(٣) انظر: المفهم (٢/ ٦٠٣).

تنبيه: من الأخطاء الشائعة في زماننا: التباطؤ في تجهيز الميت؛ بسبب انتظار الأقارب، أو مسافر، وربما يكون في دولة أخرى، فيُترَك الميت يوما كاملًا، وربما أكثر وهذا فيه تعدِّي وجناية على حق الميت مع ما فيه من مخالفة للسُّنَّة، أمَّا التأخير اليسير كأن يموت أول النهار ويؤخَّر إلى الظهر أو العصر؛ ليجتمع الناس، أو كأن يموت صباح الجمعة، ويؤخَّر لصلاة الجمعة؛ لكثرة الجمع فلا بأس به؛ ولأن التأخير فيه مصلحة للميت.

۞ مسألة ٥/٢٨: الإسراع في إنفاذ وصيَّة الميت بعد موته.

وهذا بحسبه إمَّا أن يكون مسنونا، أو واجبا بحسب ما أوصى به، فإن كان ممَّا لا تبرَأ الذِّمَّة إلا به، كالدية ونحوه فالإسراع في إنفاذه واجب، وإلا فالإسراع به سُنَّة.

۞ مسألة ٥/٢٩: يجب الإسراع في قضاء دين الميت.

وذلك إن ترك مالا، فتجب المبادرة للقضاء، ومع الأسف أنَّ كثيرا من الناس يتهاون بهذا، ويهوِّن من هذا الأمر ويتباطأ فيه، وما يستشعر أنَّ هذا الأمر شديد على الميت، وهذا الدَّيْن يجب سداده قبل قسم الميراث، سواء كان دَيْنًا لله -تعالى- كالزكاة، والكفَّارة، ونذر الطاعة، والحجِّ، أو كان للآدميين كقرض، أو ردِّ أمانة، أو عاريَّةٍ، أو غصب، ونحو ذلك من حقوق الآدميين.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»(١).

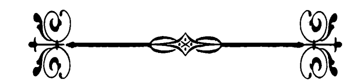
---

(١) رواه أحمد برقم (١٠٥٩٩)، رواه الترمذي برقم (١٠٧٨)، وقال: «هذا حديث حسن».



ب- حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إِلَّا الدَّيْنَ**»، وفي رواية: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»[(١)].

ج- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فيَسْأَلُ: «**هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ؟**» فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى عَلَيْهِ، وَإِلَّا قَالَ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»، فَلَمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ الْفُتُوحَ، قَالَ: «**أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ**»[(٢)].



(١) رواه مسلم برقم (١٨٨٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٢٨٩)، رواه مسلم برقم (١٦١٩).





فصل في: تغسيل الميت، وتكفينه، والصَّلاة عليه، ودفنه

وهذا الفصل وإن كان عملًا لا يفعله الميِّت وإنما يُفعل به، ولكن يحسُن بنا أن نذكره؛ ليعرف الميِّت ماذا سيُفعل به في هذه اللحظات، وليتفقَّه في ذلك قبل مفارقة الدنيا، ويعلم الأحكام التي تُفْعَل في الميت قبل دخول القبر.

❁ **مسألة ٦/٣٠: حكم غسل الميت، وتكفينه، والصَّلاة عليه، ودفنه:**

- **حُكمها:** فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، بإجماع العلماء رحمهم الله[(١)].

- **ودليل غسله:** حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في الذي وقصته ناقته يوم عرفة، فقال النَّبيُّ ﷺ: **«اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ»**[(٢)].

وحديث أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قال النَّبيُّ ﷺ للنساء اللاتي غسَّلن ابنته: **«اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ سَبْعًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ»**[(٣)].

- **ودليل تكفينه:** حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا المتقدِّم، وفيه: **«وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ»**.

ووجه الدلالة: أنَّ الحديثين السابقين فيهما الأمر بغسل الميت، وتكفينه، والأمر يقتضي الوجوب، لكنه وجوب كفائي؛ لأنَّ المقصود حصول التغسيل والتكفين، وليس المراد أنَّ كل أحد من المخاطبين مأمور بذلك.

---

(١) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (ص٣٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٥٩)، رواه مسلم برقم (٩٣٩).



- **ودليل الصلاة عليه**: فعله ﷺ حيث كان يُصلِّي على الأموات باستمرار، وقال ﷺ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»[١]، وقال: «**قَدْ تُوُفِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ، فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ**»[٢]، وصلَّى على المرأة التي رُجمت[٣].

- **ودليل دفنه**: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١]، فالله ﷻ أكرم الميت بدفنه، فلم يُلْقَ للسِّباع والطيور؛ لتأكله، أو ليتأذى به الناس، بل امتن عليه بذلك، وتقدَّم الإجماع على أنَّ غسل الميت، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه فرض كفاية، إذا فعلها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا لم يفعلها أحد أَثِمَ الجميع.

۞ مسألة ٣١/٦: مَن أولى الناس بغسل الميت؟

الصحيح: أنَّ أولى النَّاس به وصيُّه، أي: الذي أوصى أن يُغسِّله.

ويدلُّ على أحقيَّة الوصيِّ: أن أبا بكر أوصى أن تغسِّله زوجته أسماء رضي الله عنها، أخرجه مالك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة، وهو أثر مُرسَل لكن له عِدَّة طرق تقوِّيه، وأنس بن مالك رضي الله عنه أوصى أن يغسِّله محمد بن سيرين ففعل -رحمهما الله- أخرجه ابن سعد في الطبقات، فالصحيح أنَّ الوصي يُقدَّم على غيره، ثُم أقاربه الأصول كالجد، والأب قبل الفروع، وهم الأبناء وإن نزلوا، ثم إخوانه، ثم بقيَّة أقاربه وذوي رحمه، وهذا الترتيب إنما يُحتاج إليه عند المشاحة، والمنازعة فيمن يُغسِّل الميت، وفي عصرنا اليوم لا مشاحة في ذلك؛ لوجود أناس متبرعين يتولون تغسيله وتكفينه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٨٩)، رواه مسلم برقم (١٦١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٢٠)، رواه مسلم برقم (٩٥٢).

(٣) رواه مسلم برقم (١٦٩٥).

مسألة ٦/٣٢: صِفة غسل الميِّت باختصار.

أولًا: إذا بدأ المُغسِّل بالتغسيل ستر عورة الميت، وجرَّده من ثيابه، وستره عن أعين الناس.

وستر العورة (**واجب**)، قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلا خلاف»(١).

فيستر ما بين السُّرَّة والركبة بقماش ونحوه، ثم يُجرِّده من ثيابه.

ثانيًا: يلفُّ الغاسل على يده خرقة، أو يلبس قفازين ويُنجِّي الميت، فيغسل فرجه وينقيه بالماء، ولا يحل له أن يمس عورته بلا حائل إذا كان له أكثر من سبع سنوات.

ثالثًا: ثم ينوي التغسيل، فيبدأ بالتسمية، ثم يوضئ الميت كوضوء الصلاة.

ويدل على ذلك: حديث أم عطية وتغسيلها ومن معها -رضي الله عنهن- لزينب بنت النَّبي ﷺ قال النَّبي ﷺ لهن: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا**»(٢).

- **وصفة ذلك**: بأن يأخذ الغاسل خرقة مبلولة يجعلها على أصبعيه، يدخل أصبعيه في فمه، ويمسح أسنانه برفق، وكذلك يمسح أنفه بأن يدخل أصبعيه في منخريه، وينظفهما برفق، ثم يغسل وجهه ويتم الوضوء كما هو معروف.

وفي الوضوء عند تنظيف فمه وأنفه؛ يحرص ألَّا يدخل في فم الميت ولا أنفه ماء؛ لئلا يُحرِّك نجاسة ساكنة، أو يُخرج شيئًا عند التكفين.

رابعًا: ثم يَشرع في غسل الميت.

---

(١) انظر: في المغني (٣/ ٣٦٩).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٥٤)، رواه مسلم برقم (٩٣٩).

وغسل الميت يكون كما يلي:

١- يُغسل رأسه برغوة السدر، أو الصابون.

لحديث أم عطية رضي الله عنها، وفيه: قال النَّبيُّ ﷺ: «**اغْسِلْنَهَا بِمَاءٍ وَسِدْرٍ**»[(١)]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الرجل الذي وقصته راحلته بعرفة فمات، قال النبي ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ**»[(٢)].

٢- ثم يغسل شقه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جميع بدنه بالماء.

وغسل الشق الأيمن يكون بغسل وجهه وما يليه من الجهة اليمنى، وكذلك جهة الجسم اليمنى وقدمه اليمنى، وإذا أراد أن يغسل الجهة اليمنى من الأسفل فإنه يرفع الميت من الجهة اليمنى، فيقلبه على جنبه الأيسر، فيغسل شقه الأيمن من الأسفل: الظهر والأليتين وأسفل القدم اليمنى.

وغسل الشق الأيسر يكون بنفس طريقة غسل الشق الأيمن، والبدء بالشق الأيمن سُنَّة ثابتة.

ويدل على ذلك: حديث أم عطية رضي الله عنها المتقدِّم، وفيه: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا**».

ثم يغسل جميع بدنه بالماء، وهذه الغسلة هي التي تذهب ما تَعلَّق بالجسد من السدر ونحوه من المنظفات إن استعمله، فما أعظمها من عبرة وأنت تُقَلَّبُ في مغسلة الأموات، بعدما كنت حيًّا تُقَلِّبُ جسدك حيث تشاء.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٥٤)، رواه مسلم برقم (٩٣٩)، واللفظ للنسائي برقم (١٨٨٦).

- الواجب غسلة واحدة، ويُسَنُّ ثلاثًا.

فيُفعل ما تقدَّم من غسله بالسِّدر، والماء، والبدء بالشِّق الأيمن، ثم الأيسر، ثم يفيض على سائر جسده كل ذلك ثلاث مرات، وأمَّا الوضوء فلا يُكرَّر.

ويدلُّ على ذلك: حديث أم عطية رضي الله عنها المتقدِّم، وفيه: «**اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ سَبْعًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ**»[١]، وهذا يدل على أنَّ الأفضل ثلاث غسلات، ولو حصل التنظيف بمرَّة واحدة أجزأ ذلك؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما المتقدِّم: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ**»[٢]، والحديث مطلق، والثلاث أفضل، وغالبًا لا يحصل الإنقاء بغسلة واحدة؛ فلذا الأفضل أن يجعلها ثلاثًا وهو قول جمهور العلماء -رحمهم الله-، وقد يحتاج الجسم أكثر من ثلاث على حسب المصلحة في الزيادة.

والأفضل قطع الغسل على الوتر، كما جاء في الحديث: «**ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ سَبْعًا**»، وكذلك إن زاد قطعَها على وتر، وهو اختيار شيخنا ابن عثيمين رحمه الله[٣].

وأمَّا إذا حصل الإنقاء بثلاث غسلات، فإنها لا تُشْرَع الزيادة عليها؛ لأن الزيادة راجعة للمصلحة التي يقدِّرُها الغاسل، حيث قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنْ رَأَيْتُنَّ**»؛ ولأنه حصل المقصود وهو: التطهير.

- يجعل في الغسلة الأخيرة كافورًا.

والكافور نوع من الطيب أبيض يُدَقُّ ويُجْعَل في الإناء الذي يغسل به آخر غسلة، وجعله في الغسلة الأخيرة سُنَّة ثابتة، **ويدلُّ على ذلك:** حديث أم عطية رضي الله عنها المتقدِّم، وفيه: «**وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ**».

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢٥٩)، رواه مسلم برقم (٩٣٩).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).

(٣) انظر: الممتع (٥/ ٢٨٠).

وذكر الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الحِكَم التي في الكافور: «تبريده وقوة نفوذه، وخاصة في تصلب بدن الميت، وطرد الهوام عنه، وردع ما يتحلل من الفضلات، وإسراع الفساد إليه، وإذا عدم قام غيره مقامه مما فيه هذه الخواص، أو بعضها»[١].

٣- ثم ينشَّف الميِّت بثوب ونحوه، ويُقص شاربه، وتقلَّم أظفاره، ويؤخذ شعر إبطيه، وهذه تفعل إن كانت طويلة طولًا فاحشًا وإلَّا فَلَا.

- المرأة يُضْفَر شعرها ثلاثة قرون، ويُسدل وراءها.

ضفر الشَّعر إدخال بعضه في بعض، وثلاثة قرون -أي: ضفائر- وهذه سُنَّة ثابتة.

ويدلُّ على ذلك: حديث أم عطية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المتقدِّم: «**أَنَّهُنَّ جَعَلْنَ رَأْسَ بِنْتِ رَسُولِ الله** ﷺ **ثَلَاثَةَ قُرُونٍ**»[٢].

وفي رواية للبخاري: «**وَأَلْقَيْنَاهَا خَلْفَهَا**»[٣]، وفي رواية ابن حبان أنَّ النَّبي ﷺ أمرهن بذلك حيث قال النَّبي ﷺ: «**وَاجْعَلْنَ لَهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ**»[٤].

٤- وبعد ذلك تُلبَسُ أيها الميت ملابس لم تعهدها من قبل، وبطريقة تختلف عما كنت تعتاده، فهي ملابس لا تختارها، ولا تستطيع أن تلبسها بنفسك، كيف وقد ودَّعت دنياك الفانية إلى أُخْراك الباقية؟!

(١) انظر: نيل الأوطار (٤/ ٣٢).

(٢) رواه البخاري برقم (١٢٦٠)، رواه مسلم برقم (٩٣٩).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٦٣).

(٤) رواه ابن حبان (٧/ ٣٠٤).

مسألة ٦/٣٣: صفة تكفين الميت باختصار.

أولا: يستحب تكفين الرجل بثلاث لفائف بيضاء.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كُفِّنَ رَسُولُ الله ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ، بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ، وَلَا عِمَامَةٌ»[١].

ومن الذين كفنوا النَّبي ﷺ أبو بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد أمرنا النَّبي ﷺ باتباع سنتهما.

ب- حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**»[٢]، ويجوز أن يُكفَّن الميِّت بغير الأبيض، كما يجوز أن يكفَّن بلفافة واحدة تكفيه، لكن هذا خلاف السُّنة.

ثانيًا: يستحب تجمير هذه اللفائف.

والتجمير: هو التبخير، **سمي بذلك**؛ لأنه يوضع في الجمر، ومن الأفضل كما يقول أهل العلم أن تُرشَّ هذه اللفائف قبل التبخير بماء، أو دهن، أو ماء الورد؛ لأن ذلك يسبب مسك الرائحة وثباتها على اللفائف.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢٦٤)، رواه مسلم برقم (٩٤١). سحولية: بضم أوله، ويُروى بفتحه أيضًا، نسبه إلى: (سَحول) قرية باليمن، تُصنع بها هذه اللفائف، وجاء في رواية (يمانية). والكُرسف: هو القطن.

(٢) رواه أحمد برقم (٢٢١٩)، رواه أبو داود برقم (٣٨٧٨)، رواه الترمذي برقم (٩٩٤)، وقال: «حسن صحيح».

ويدلُّ على التجمير:

أ- ما رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ، فَأَجْمِرُوهُ ثَلَاثًا**»[1]، ويشهد له فعل الصحابة رضي الله عنهم كما سيأتي.

ب- ورود ذلك عن بعض الصحابة، كأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما[2]، وأبي هريرة رضي الله عنه[3].

قال ابن المنذر رحمه الله: «وكل من نحفظ عنه من أهل العلم يستحبون إجمار ثياب الميت»[4]، وينبغي التنبُّه إلى أن الميت المحْرِم يُستثنى من ذلك؛ لقول النَّبي ﷺ: «**وَلَا تُحَنِّطُوهُ**»[5].

ثالثًا: تبْسط اللفائف بعضها فوق بعض، ويجعل الحنوط فيما بينها.

والحنوط: هي أخلاط من الطيب تُصنع للأموات، ولا تسمى (حنوطًا) إلا إذا صُنعت للميت.

ويجعل الحنوط بين الأكفان، بين الأولى والثانية، وبين الثانية والثالثة.

والدليل على وضع الحنوط: حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الذي وقصته دابته، فمات، قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَلَا تُحَنِّطُوهُ**»، وهذا يدلُّ على أنَّ من عادتهم تحنيط الأموات، إلا أنه يُستثنى المُحْرِم.

---

(١) رواه أحمد برقم (١٤٥٤٠)، وصححه ابن حبان (٧/ ٣٠١)، والحاكم (١/ ٥٠٦)، وصححه النووي في المجموع (٥/ ١٩٦).

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق (٣/ ٤١٧).

(٣) انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٥٦).

(٤) انظر: الأوسط (٥/ ٣٦٩).

(٥) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).

رابعًا: ثم يوضع الميت على اللفائف الثلاث مستلقيًا.

هكذا يوضع جسدك الذي يشعُّ الآن حيويةً ونشاطًا، ففي ذلك الحين يكون كالخشبة، لا روح فيه ولا حِرَاك، فيُحمل ليُوضع على تلك اللفائف، **نسأل الله حسن العمل والختام.**

خامسًا: يؤخذ من الحنوط بقطن، ويضع القطن بين أليتي الميت، ويُشدُّ فوقها بخرقة.

ومن الأفضل أخذ حنوط بقطن، ووضعه بين أليتي الميت، والتعليل: ليردَّ ما يخرج من دبره عند تحريكه، فإنَّ الغالب في الخارج أنه كريه الرائحة جدًّا، وهذا الحنوط يُبعِد هذه الرائحة.

سادسًا: يُجعل الباقي من الحنوط على منافذ وجهه، ومواضع سجوده.

منافذ الوجه هي: العينان، والمنخران، والشفتان، وزاد صاحب الروض المُربِع رَحِمَهُ اللَّهُ الأذنين، ومواضع السجود، وهي: الجبهة، والأنف، والكفان، والركبتان، وأطراف القدمين.

والتعليل: بالنسبة لمنافذ الوجه؛ لئلا تدخله الهوام، فالحنوط يطردها، وأمَّا مواضع السجود فتشريفًا لها، كما ذكر أهل العلم؛ لأنها باشرت السجود لله تعالى، وليس في هذا سُنَّة ثابتة على وجه الخصوص.

فالوارد هو: تحنيط الميت دون تخصيص موضع دون آخر، ولكن بعضها ربما له عِلَّة، كمنافذ الوجه.

وزاد بعضهم: مغابن الجسم كالإبطين، وطي الركبتين، والسُّرَّة، والأمر في هذا واسع.



سابعًا: ثم يرُّد طرف اللفافة العُليا على شِقِّه الأيمن، وطرفها الآخر من فوقه على الشِّق الآخر، ثم الثانية، ثم الثالثة.

أي: نردُّ طرف اللفافة العليا التي تحت الميت مباشرة على شِقِّه الأيمن، ثم نأخذ الطرف الأيسر ونرده على شِقِّه الأيسر؛ ليكون فوق الطرف الأول، ولو عُكِس بأن بُدئ بالطرف الثاني قبل الأول فالأمر واسع، ثم نفعل بالثانية هكذا، ثم الثالثة هكذا، ويُجعل أكثر الزائد من كفنه عند رأسه؛ لشَرَفه.

ولقول النَّبيِّ ﷺ -كما في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه- في تكفين مُصعب بن عمير، حينما قصرت النمرة: «**ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ**»[1]، والإذخر نبات معروف، وإذا كان الزائد من الكفن كثيرًا جعلناه عند الرأس، وعند الرجلين، فهذا أفضل؛ لأنه أثبت للكفن.

ثامنًا: ثُم تعقد هذه اللفائف، وتُحَلُّ في القبر.

والتعليل: لئلا ترتخي هذه اللفائف، وتتفرق، ولم يأتِ عددٌ معيَّن لهذه العقد، فَيُرجع فيه إلى الحاجة، وأقل الحاجة: عقدتان، الأولى: عند رأسه، والأخرى: عند قدميه، وإن احتاج في الوسط اثنتين، أو ثلاث فلا بأس.

والعناية بإحسان تكفين المسلم من السُّنة، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؛ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ**»[2]، وتطبيق السُّنة فيه أبلغ الإحسان.

وأما المرأة فقيل: تكفَّن بخمسة أثواب: إزار، وخمار، وقميص، ولفافتين، وقيل: كالرجل بثلاث لفائف.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٨٢)، رواه مسلم برقم (٩٤٠)

(٢) رواه مسلم برقم (٩٤٣).

ما سبق هو: بيان الأفضل في تكفين الميت، والواجب من ذلك أن يُستَر جميعه، ولو بثوب واحد.

وبعد ذلك تُؤخذ إلى حيث الصلاة عليك، جسدك في قِبلَة المصلين، جسد بلا روح، وأرواح المصلين بأجسادهم عليك قائمة تدعو، وعليك تترحم، فيا تُرى كم من الرَّحمات ستبلغها؟ تغمدني الله وإياك بواسع رحمته.

مسألة ٦/٣٤: صِفة الصلاة على الميت باختصار.

- **أين يقف الإمام بالنسبة للميت في صلاة الجنازة؟**

السُّنة أن يقف الإمام عند رأس الرجل، وعند وسط المرأة.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه صلى على جنازة رجل فقام عند رأسه، وعلى جنازة امرأة فقام وسطها فقيل له: أهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل؟ قَالَ: «نَعَمْ»[١].

ب. حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ مَاتَتْ فِي نِفَاسِهَا فَقَامَ عَلَيْهَا وَسَطَهَا»[٢].

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عن حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إسناده جيد، وهو حُجَّة قائمة على التفرقة»[٣].

---

(١) رواه أحمد برقم (١٣١١٤)، رواه أبو داود برقم (٣١٩٤)، رواه الترمذي برقم (١٠٣٤)، رواه ابن ماجه برقم (١٤٩٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص١٠٩).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٣١)، رواه مسلم برقم (٩٦٤).

(٣) انظر: تعليقه على الفتح (٤/ ٢٠١).



أي: التفرقة بين الرجل والمرأة، والصبيُّ يُلحق بالرجال فيُقام عند رأسه، والجارية بالنساء فيقام عند وسطها.

- **يُكبِّر أربع تكبيرات، يقرأ بعد الأولى الفاتحة بعدما يستعيذ، ويبسمل.**

ويدل على مشروعية التكبيرات الأربع:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نَعَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَصَفُّوا خَلْفَهُ، فَكَبَّرَ أَرْبَعًا»[١]، وأيضًا روي من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[٢]، وهذه التكبيرات الأربع فرض باتفاق الأئمة.

- **ثم يستعيذ، ويبسمل، ثم يقرأ الفاتحة سِرًّا.**

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث أبي أمامة سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «السُّنة فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ: أَنْ يَقْرَأَ فِي التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى بِأُمِّ الْقُرْآنِ مُخَافَتَةً، ثُمَّ يُكَبِّرَ ثَلَاثًا، وَالتَّسْلِيمُ عِنْدَ الْآخِرَةِ»[٣].

ب- حديث طلحة بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى جِنَازَةٍ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَسُورَةٍ، وَجَهَرَ حَتَّى أَسْمَعَنَا، فَلَمَّا فَرَغَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سُنَّةٌ وَحَقٌّ»[٤]، ومعنى «سُنَّة» أي: طريقة مأخوذة عن النَّبيِّ ﷺ، وليس المقصود أنها مستحبة، فأراد أن يعلِّم من وراءه ذلك.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣١٨)، رواه مسلم برقم (٩٥١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨٧٩)، رواه مسلم برقم (٩٥٢).

(٣) رواه النَّسائي برقم (١٩٩٠)، وصححه النووي (في الخلاصة ٢/ ٩٧٥)، و(في المجموع ٥/ ٢٣٣) وقال: «رواه النسائي بإسناد على شرط الشيخين، وأبو أمامة هذا صحابي»، وصححه الحافظ ابن حجر (في الفتح ٣/ ٢٠٤).

(٤) رواه البخاري برقم (١٣٣٥)، واللفظ للنسائي برقم (١٩٨٩).

- **ثم يُكبِّر للثانية، ويصلِّي على النَّبيِّ ﷺ.**

ونقل ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على مشروعية الصلاة على النَّبيِّ ﷺ بعد التكبيرة الثانية(١).

- **ثم يكبِّر للثالثة، ويدعو للميت.**

ونقل ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على ذلك(٢).

- **وينبغي أن يُخلِص للميت بالدعاء.**

ويدلُّ على ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**»(٣)، وفيه: (محمد بن إسحاق) مدلِّس، وقد عنعن، لكنه لا يضرُّ؛ لأنه صرَّح بالتحديث عند ابن حبان من طريق آخر.

والمراد بإخلاص الدعاء له: أن يخص الميت بالدعاء؛ لأن المقصود من الصلاة أن ينتفع هذا الميت من الدعاء، وأيضًا من الإخلاص في الدعاء له أن يدعو له بحضور قلب؛ لأنه موضع يُرجى فيه قبول الدعاء للميت.

* **فائدة:** يستحسن مراعاة الضمير حال الدعاء، فإن كان المقدَّم من الأموات اثنين قال: «**اللهم اغفر لهما...**»، وإن كانوا جماعة قال: «**اللهم اغفر لهم...**»، وإن كُنَّ جماعة نسوة قال: «**اللهم اغفر لهن...**»، وإن كانوا ذكورًا وإناثًا يُغلِّب جانب الذكورية، فيقول: «**اللهم اغفر لهم...**»، وهكذا في بقية الأدعية.

---

(١) انظر: الإفصاح (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: الإفصاح (١/ ١٩٠).

(٣) رواه أبو داود برقم (٣١٩٩).

- **ثم يُكبِّر للرابعة، ثم يسلِّم عن يمينه واحدة.**

ونقل ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على التكبيرة الرابعة، والسلام بعدها واحدة عن يمينه[١].

- **السُّنة لمن صلَّى على جنازة أن يرفع يديه مع كل تكبيرة.**

أولًا: تكبيرة الإحرام.

ورفع اليدين في تكبيرة الإحرام مُجْمَع على مشروعيته.

قال ابن المنذر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أهل العلم على أنَّ المصلِّي على الجنازة يرفع يديه مع التكبيرة الأولى»[٢].

ثانيًا: بقيَّة التكبيرات.

على قولين: الحنابلة، والشافعية: يُشرع رفع اليدين فيها، وعند الحنفية، والمالكية: لا يستحب.

والأظهر - والله أعلم -: مشروعية رفعهما مع كل تكبيرة.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان إذا صلى على الجنازة رفع يديه في كل تكبيرة وإذا انصرف سلَّم» رواه الدارقطني في عِلله[٣]، وأعلَّه بـ: (عمر بن شبة)، وهو ثقة، وثَّقه الدارقطني، وابن حبان[٤]، ووثَّقه غيرهم، إلا أنه خالف جمع الثقات الذين رووه موقوفًا.

---

(١) انظر: الإفصاح (١/ ١٩٠).

(٢) انظر: الإجماع (ص٤٦).

(٣) انظر: نصب الراية (٢/ ٢٨٥).

(٤) انظر: الثقات (٨/ ٤٤٦).

قال الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكذا رفعه عمر بن شبة، وخالفه جماعة فرووه عن يزيد بن هارون موقوفًا، وهو الصواب».

وصحَّح الرفع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «والأظهر: عدم الالتفات إلى هذه العِلَّة؛ لأنَّ عمر المذكور ثقة، فيقبل رفعه؛ لأن ذلك زيادة من ثقة، وهي مقبولة على الراجح عند أئمة الحديث»(١).

ب- أنه صح عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ مَعَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ عَلَى الْجَنَازَةِ»(٢)، وهذا الأثر ظاهر الاستدلال لِمَا يُعلَم من ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا شدة تحريه للسُّنَّة، ومثل هذا لا يأتي من اجتهاد، ولا يفعله ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلَّا بتوقيف من النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ج- أنه جاء رفع اليدين مع كل تكبيرة عن جمع من الصحابة، كابن عباس، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ(٣)، وجاء عن جمع من التابعين كعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والزهري، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، رحم الله الجميع(٤).

* **فائدة:** قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والترتيب بين أركان صلاة الجنازة واجب، فيبدأ بالفاتحة، ثم الصلاة على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم الدعاء، فلا يقدِّم بعضها على بعض، وكذلك تكميل التكبيرات الأربع، فإن سلَّم من ثنتين ساهيًا أكمل مع القرب، وأعاد مع البعد»(٥).

---

(١) انظر: التعليق على فتح الباري (٣/ ١٩٠)، وانظر: فتاوى ابن باز (١٣/ ١٤٨).

(٢) رواه البخاري معلَّقًا في صحيحه: باب سنة الصلاة على الجنازة رقم (٥٦)، ووصله ابن أبي شيبة (٢/ ٤٩١)، وعبد الرزاق (٣/ ٤٧٠)، والبيهقي (٤/ ٤٤).

(٣) انظر: مصنَّف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٦)، وسنن البيهقي (٤/ ٤٤).

(٤) انظر جامع الترمذي (٣/ ٣٨٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٩٦)، وسنن البيهقي (٤/ ٤٤)، وفتاوى ابن باز (١٣/ ١٤٨).

(٥) انظر: الممتع (٥/ ٣٤٢).

* وبعد ذلك تُحْملُ على أعناق الرجال؛ لتوضع في حفرة حيث تُغَيَّب عن الشمس، فيحتملك الرجال وهم مشفقون، وعليك يترحمون.

۞ مسألة ٦/٣٥: يُسَنُّ الإسراع في المشي بالجنازة.

وهذا باتفاق العلماء؛ لحديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً؛ فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ؛ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**»[١].

وضابط الإسراع: أن يكون فوق المشي المعتاد ولا يزيد على ذلك، فالإسراع الشديد غير مراد؛ لأنه يُتعب المشيِّعِين، وأيضًا قد ينزل معه من الميت شيء يلوث الكفن، وكذلك التباطؤ الشديد غير مراد؛ لأن فيه مخالفة للسُّنَّة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا دبيب الناس اليوم خطوة خطوة فبدعة مكروهة، مخالفة للسُّنَّة، ومتضمِّنة للتشبه بأهل الكتاب (اليهود)»[٢].

۞ مسألة ٦/٣٦: كيف يسير الماشي، والراكب مع الجنازة؟

أولًا: الماشي

الأظهر -والله أعلم-: أنَّ الأمر واسع، إن شاء مشى أمامها، أو خلفها، لكن يكون قريبًا منها؛ ليُسمَّى تابعًا لها وبكل الجهات وردت آثار عن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا، وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَرِيبًا مِنْهَا**»[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣١٥)، رواه مسلم برقم (٩٤٤).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٥١٧).

(٣) رواه أبو داود برقم (٣١٨٠)، رواه الترمذي برقم (١٠١١)، رواه النَّسائي برقم (١٩٤٤)، رواه ابن ماجه برقم (١٤٨١)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

ب- حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرَ، يَمْشُونَ أَمَامَ الْجِنَازَةِ، وَخَلْفَهَا»[(١)]. قال الألباني: «وهذا سند صحيح على شرط الشيخين»[(٢)].

ج- وأيضًا حتى يتوسع المشيِّعون، ولا يلزمون جهة واحدة فربما يشقُّ ذلك عليهم، وروى البخاري معلَّقًا: «عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَشْي فِي الْجِنَازَة فَقَالَ: أَمَامهَا وَخَلْفهَا، وَعَنْ يَمِينهَا وَشِمَالهَا، إِنَّمَا أَنْتُمْ مُشَيِّعُونَ»[(٣)]، ووصله ابن المنذر، رحمهما الله[(٤)].

ثانيًا: الراكب.

الأظهر -والله أعلم-: أنَّ السُّنة للراكب أن يكون خلف الجنازة.

ويدلُّ على ذلك:

أ- حديث المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق، وفيه: «**الرَّاكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجُنَازَةِ**».

ب- ولأن الراكب إذا كان أمام الجنازة آذى الناس بخلاف ما لو كان خلفهم.

*** فائدتان:**

الأولى: الأفضل لمن تبع جنازة أَلَّا يكون راكبًا، فالأفضل أن يكون ماشيًا؛ لحديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِدَابَّةٍ وَهُوَ مَعَ الْجَنَازَةِ فَأَبَى أَنْ يَرْكَبَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أُتِيَ بِدَابَّةٍ فَرَكِبَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَمْشِي، فَلَمْ أَكُنْ لِأَرْكَبَ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَلَمَّا ذَهَبُوا رَكِبْتُ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطحاوي (١/ ٢٧٨).

(٢) انظر: أحكام الجنائز (ص٧٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٣/ ١٨٢).

(٤) انظر: الأوسط (٥/ ٣٨٣).

(٥) رواه أبو داود برقم (٣١٧٧) وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٧٥).

أما الركوب بعد الانصراف منها فجائز؛ للحديث السابق؛ ولذا كَرِه بعض أهل العلم الركوب في التشييع، ولم يكرهوه في الانصراف منها.

الثانية: جاء في فضل تشييع الجنازة فضل عظيم ينبغي للمسلم أن يجتهد في تحصيله ولا يتوانى، وهو ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا؛ فَإِنَّه يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ»**(١).

وفي رواية أخرى: **«مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ»** قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: **«مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ»**(٢).

۞ مسألة ٣٧/٦: يُسَنُّ لمن يُدْخِل الميت أن يقول: بسم الله، وعلى مِلَّة رسول الله.

باتفاق الأئمة الأربعة، رحمهم الله.

ويدلُّ على ذلك:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **«إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقَبْرِ فَقُولُوا: بِسْمِ الله، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ الله ﷺ»**(٣)، وأعلَّه الدارقطني(٤)، وأيضًا البيهقي(٥)، بأنَّ الحديث موقوف على ابن عمر، وتفرَّد برفع الحديث: (همَّام بن يحيى)، وهو ثِقَة،

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٢٥)، رواه مسلم برقم (٩٤٥).

(٣) رواه أحمد برقم (٤٨١٢)، رواه أبو داود برقم (٣٢١٣)، رواه النَّسائي في عمل اليوم والليلة (ص٥٨٦)، وابن حبان (٧/ ٣٦٧)، وصححه الألباني في الإرواء، ولفظ أبي داود، وابن حبان: «وعلى سنة رسول الله».

(٤) انظر: العلل (١٢/ ٤٠٩).

(٥) انظر: السنن الكبرى (٤/ ٥٥).

لكن من هو أوثق: كشعبة، وهشام الدستوائي، روياه موقوفًا على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولو كان موقوفًا، فالأظهر -والله أعلم- أن له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يقال بالرأي، وعليه كما هو مذهب الأئمة الأربعة -رحمهم الله- يُسَنُّ لمن يُدخِل الميت قبره أن يقول عند ذلك: «بسم الله، وعلى مِلَّة رسول الله، أو على سُنَّة رسول الله» أي: على شريعته، وطريقته.

۞ مسألة ٣٨/٦: يُسَنُّ أن يُسجَّى قبر المرأة عند إنزالها.

فيُسَنُّ أن يغطى قبر المرأة عند إدخالها القبر.

ويدلُّ على ذلك:

أ- إجماع العلماء على ذلك.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا نعلم في استحباب تغطية القبر خلافًا بين أهل العلم»[١].

ب- لأنَّ ذلك أسترُ لها؛ ولأن المرأة عورة، فقد يبدو شيئًا أثناء إنزالها القبر.

وأمَّا الرجل فلا يُسَنُّ أن يغطى قبره عند إنزاله.

۞ مسألة ٦/ ٣٩: يوضع الميت على شِقِّه الأيمن، مستقبل القِبلَة.

من الأفضل وضعه على شِقِّه الأيمن مستقبل القِبلَة، ولا دليل صحيح مخصِّص لذلك، لكنه (أمر)؛ كما ذكر ذلك ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ، جرى عليه عمل المسلمين من عهد النَّبيِّ ﷺ إلى يومنا هذا، ولازال العمل عليه مستمرًا إلى عصرنا هذا[٢].

---

(١) انظر: المغني (٣/ ٤٣١).

(٢) انظر: المحلَّى (٥/ ١٧٣).



۞ مسألة ٦/ ٤٠: ومن الذي يتولَّى دفن الميت؟

إن كان له وصي فإنه هو الأولى بذلك، كأن يوصي الميت بأن يدفنه فلان فيُقدَّم الوصي، ثم الأقارب إن كانوا يُحسِنون الدفن، فإن لم يكونوا كذلك أو لا يريدون النزول للقبر، فيدفنه أي واحد من الناس، وإذا كان الميت امرأة فلا يُشترط أن يدخلها القبر أحد محارمها، بل يجوز أن ينزلها أي شخص، ولو كان أجنبيًّا.

ويدل على ذلك: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْنَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، فَقَالَ: «**هَلْ فِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا. قَالَ: «**فَانْزِلْ فِي قَبْرِهَا فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا فَقَبَرَهَا**»[(١)].

وقلنا بتقديم الأقارب في الدفن على غيرهم إن لم يكن هناك وصيٌّ؛ لأن الذين تولوا دفن النَّبيِّ ﷺ أقاربه العباس، وعلي، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ولأنَّ الأقارب أولى به، وأستر لأحواله.

ثمَّ ينصب على الميِّت اللَّبن؛ وهو: المضروب من طين، فإذا وُضع الميت نُصب عليه اللَّبن، ويُسد بالطين حتى لا يقع عليه التراب؛ لحديث سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تقدَّم: «الْحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ الله ﷺ»[(٢)].

* **فائدة**: جاء في استحباب المشاركة في دفن الميت بأن يحثوا المسلم على القبر حثيات، آثار كثيرة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين -رحمهم الله- فيُسَن أن يشارك المسلم في ذلك من غير مزاحمة ومضايقة، فالأظهر سنية الحثو مطلقًا، وأمَّا تقييده بثلاث ففيه خلاف في صحته، ولا يصحُّ أي ذكر أثناء حثو التراب، وكل ما ورد فهو ضعيف.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٤٢)، «لم يقارف»: أي: لم يجامع.

(٢) رواه مسلم برقم (٩٦٦).

تأمل أيها المفارق لدنياه -رحمني الله وإياك-: تأمل هذا الموضع وكيف أن أقرب النَّاس إليك، وأحبابك لا يملكون في هذا الموضع إلا أن يحثوا عليك التراب، وهم بحثيهم هذا محسنون فهذا غاية ما يستطيعون، عندها يودعونك، وأنت في حفرتك رهين عملك... **نسأل الله حسن العمل والقبول.**

۞ مسألة ٤١/٦: يُسَنّ أن يرفع القبر قدر شِبْر مسنَّمًا.

والشِّبْر: هو ما بين طرفي الأصبعين: الخنصر، والإبهام، عند التفريج المعتاد(١).

ومسنَّمًا: أن يُجْعَل كالسنام، بحيث يكون وسطه بارزًا على أطرافه، وضد المسنَّم: المسطَّح، وهو المبسوط في أعلاه كالسطح.

وفي هذه المسألة ثلاث سُنَن:

١- سنية رفع القبر كيلا يساوي الأرض، حتى يعرف أنه قبر، فيُتَرَّحم على صاحبه، ولا يهان، وسيأتي دليل رفع القبر، منها: رفع قبر النَّبيِّ ﷺ مسنَّمًا، ولمجيء آثار كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم تبيِّن أنَّ العمل عندهم رفع القبر.

٢- سنيَّة أن يكون هذا الرفع مقدار شبر تقريبًا.

ويستدل لذلك؛ بالنَّهي عن أن يكون القبر مرتفعًا ارتفاعًا ظاهرًا، بحديث علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج الأسدي: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ: أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ -وفي رواية: وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا- وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»(٢).

(١) انظر: القاموس المحيط (٢/ ٦٣١).

(٢) رواه مسلم برقم (٩٦٩).

٣- سنية أن يكون القبر مُسَنَّمًا.

ويدلُّ على ذلك: ما رواه سفيان التَّمار: «**أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّمًا**»[1].

۞ مسألة ٤٢/٦: السُّنة عند الفراغ من دفن الميت: أن يستغفر المشيِّعون للميت عند القبر، ويدعوا له بالتثبيت.

فيأمر أحدهم الحاضرين بذلك؛ لحديث عثمان رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[2].

۞ مسألة ٤٣/٦: ماذا يحدث للميت إذا انصرف عنه دافنوه؟

إذا دُفِن الميِّت، وانصرف عنه أصحابه، سمع قرع نعالهم وهم منصرفون، وهنا مفارقة عظيمة من حالين: بين حال من سيخرج من المقبرة؛ ليكمل مسيرته في حياته الدنيا بعد دفن ميته، فيخالط أهله، والناس كما هو معتاد، وبين ذلك الذي في حفرة القبر، وهو يسمع قرع نعال أولئك الأحياء الذين انصرفوا، وحاله مقبل على حياة أخروية برزخية، فلا أهل يخالطهم، ولا مال، ولا صاحب، ولا أنيس، ولا جليس، وحيدًا فريدا، نسأل الله -تعالى- السلامة من فتنة تلك الحفرة.

ويدلُّ على ذلك: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ -إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ- يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَـذَا الرَّجُلِ؟...**»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٩٠).

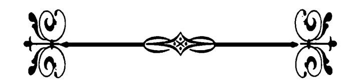
(٢) رواه أبو داود برقم (٣٢٢١)، وجوَّد إسناده النووي (في المجموع ٥٤/ ٢٩٢).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٣٨)، رواه مسلم برقم (٢٨٧٠).

* فائدة: (البرزخ) في كلام العرب هو: الحاجز بين الشيئين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، أي: حاجزًا، و(البرزخ) في الشريعة هو: الدار التي بعد الموت، وقبل البعث، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو ما بين الموت والبعث».

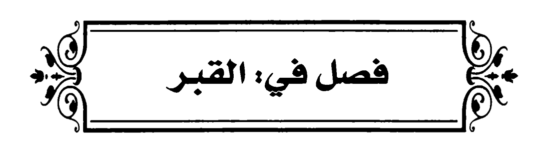
وقيل للشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مات فلان، قال: «ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة»[١].

ثم بعد ذلك تنتقل إلى الحياة البرزخية، وهي: (القبر)؛ فإليك مباحثه، نُوِّر قبرك بعملك الصالح.



(١) انظر: التذكرة للقرطبي (ص ١٧٧).



فصل في: القبر

مسألة ٧/٤٤: للقبر ضغطة.

إذا وضع العبد في القبر ضغطه القبر ضغطة، وهي ضغطة لازمة لابد منها لكل إنسان، لا ينجو منها أحدٌ صغيرًا كان أو كبيرًا، صالحًا كان أو طالحًا، فقد دلَّت الأحاديث أنه لو نجا منها أحد لنجا منها الصحابي الجليل سعد من معاذ رضي الله عنه الذي اهتز لموته عرش الرحمن -سبحانه-، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عن سعد بن معاذ رضي الله عنه: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؛ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**»(١)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «وسنده صحيح على شرط مسلم»(٢).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كانَ أَحَدٌ ناجيًا منها؛ نَجا سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ**»(٣). قال الألباني رحمه الله: «إسناده صحيح»(٤).

---

(١) رواه النسائي برقم (٢٠٥٧).

(٢) انظر: في مشكاة المصابيح (١/ ٤٩).

(٣) رواه أحمد برقم (٢٤٦٦٣).

(٤) انظر: صحيح الجامع (٢/ ٢٣٦).

۞ مسألة ٤٥/٧: وللقبر ظُلْمَة.

فعن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا-، فَفَقَدَهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي!**»، قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ- فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» فَدَلُّوهُ؛ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**»[1].

۞ مسألة ٤٦/٧: فتنة القبر ثابتة بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

فمِن الكتاب: قول الله -تعالى-: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن السُّنة:

أ- حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»[2]، وهذه الآية الكريمة، والحديث الشريف يدلان على أنه ليس كل إنسان يثبت عند ذلك السؤال، وإنما المؤمن فقط، نسأل الله -تعالى- الثبات، والسداد.

ب- وحديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث صلاة الكسوف، وفيه: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ...**»[3].

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٥٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٩٢٢)، رواه مسلم برقم (٥٨٤).



ج- وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: «**اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ...**»[(١)]، والأحاديث في هذا كثيرة، وأجمع السلف -رحمهم الله- على إثبات فتنة القـبر.

۞ مسألة ٤٧/٧: ما هي فتنة القبر؟ وكيف تكون؟

فتنة القبر؛ هي: سؤال الملكين، يسألان العبد ثلاثة أسئلة: **من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**.

ويدلُّ على ذلك: حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقدَّم بعضه، وفيه قال النَّبيُّ ﷺ عن العبد المؤمن: «**...فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي...**».

وقال عن العبد الكافر: «**...وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ**

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٦٨)، رواه مسلم برقم (٢٧٢٣).

السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1]. والحديث تقدَّم تخريجه، وسيأتي عند مسألة: إثبات نعيم القبر، وعذابه أدلَّة أخرى.

۞ مسألة ٤٨/٧: ما اسم الملَكين الَّذين يسألان الميت؟

روى الترمذي في سننه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ: لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ؛ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[2].

---

(١) انظر: هامش ص ٣٠.

(٢) صححه ابن حِبَّان (٧/ ٣٨٦)، وحسَّنه الألباني.

* **فائدة**: وجاء في حديث آخر أن اسم المَلَكَيْن: (مبشر، وبشير)، وفي حديث: أن عددهم أربعة، وأنَّ اسم الثالث، والرابع (ناكور، ورومان)، وكلها أحاديث ضعيفة.

* **فائدة أخرى**: من أهل العلم من أنكر تسميتهما بـ(**منكَر، ونكير**)؛ لأنهما اسمان لا يليقان بالملائكة، الذين وصفهم الله -تعالى- بأوصاف الثناء، فضعَّفوا الحديث السابق، **ورُدَّ هذا القول بـ**: أنَّ تسميتهما بذلك ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، وإنما من حيث أن الميت لا يعرفهما فينكِرْهما، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأضيافه الملائكة: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]؛ لأنه لا يعرفهم.

وكلمة (**مُنْكَر**) بفتح الكاف على الصحيح؛ ولذا يقول السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وضبط منكَر بفتح الكاف ** فلست أدري فيه من خلافِ

وبعد الفتنة يكون المصير والحال في القبر، إمَّا إلى نعيم، نسأل الله من فضله، وإمَّا إلى عذاب، نسأل الله -سبحانه- السلامة والعافية.

۞ مسألة ٤٩/٧: عذاب القبر، ونعيمه ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

فمِنَ الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنة على عذاب البرزخ في القبور».

ومن السُّنة: أحاديث كثيرة منها حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وقد تقدَّم- ومنها:

أ- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**»، قَالَ: «**يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ**

تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ»، قَالَ: «**فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: «**فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ**». قَالَ نَبِيُّ الله ﷺ: «**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا**»...، وأما الكافر أو المنافق فيقول: «**لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[(١)].

ب- وحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في الصحيحين أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لها: «**عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ**»[(٢)]، وتقدَّم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الترمذي، وحديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا المتفق عليه، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ استعاذ من عذاب القبر، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

جـ- وأجمع السلف -رحمهم الله- على إثبات عذاب القبر، بل كل المسلمين يقولون في صلاتهم: «**اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم...**»، ولو كان غير مُجْمَع عليه، لَمَا قالوه في صلاتهم.

❁ **مسألة ٧/ ٥٠: عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الجنَّ، والإنسَ.**

ويدلُّ على ذلك: ما تقدم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المتفق عليه، وفيه قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[(٣)]

فإن قيل: **لماذا أخفى الله عَزَّ وَجَلَّ عذاب القبر؟**

فالجواب -رعاك الله-: أنَّ الله -تعالى- أخفى عذاب القبر؛ **لعدة حِكَم منها:**

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٣٨)، رواه مسلم برقم (٢٨٧٠).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٧٢)، رواه مسلم برقم (٥٨٤)، رواه النسائي برقم (١٣٠٩).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٣٨)، رواه مسلم برقم (٢٨٧٠).



١- رحمته جلَّ وعلا بعباده، إذ لو كشف العذاب لهم؛ لتنكد عيشهم، وتواصلت أحزانهم.

٢- أنَّ في كشف العذاب فضيحة للميت.

٣- أنَّ في كشف العذاب عدم تَدَافُن الناس بعضهم لبعض، فلو كُشِفَ العذاب لَمَا دفن أحدٌ ميتًا؛ خوفًا من سوء العاقبة، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا؛ لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(١).

۞ مسألة ٥١/٧: عذاب القبر، أو نعيمه حاصل لكل إنسان أيًّا كان.

سواء أحرق، أو غَرِق، أو أكلته السباع، والطيور، أو مات على أية حال كان، فإنه بموته ينتقل لحياته البرزخية سواءً دُفِن أو لم يُدْفَن؛ وذلك لأنَّ الإنسان مركب من جسد وروح، وهذه الروح بعد الموت تخرج من الجسد فتبقى إمَّا معذَّبة، أو منعَّمة.

۞ مسألة ٥٢/٧: هل عذاب القبر، أو نعيمه على الروح، أو البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أنَّ العذاب والنعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن معذَّبة أو منعَّمة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، فيحصل له معها النعيم، والعذاب»(٢).

* **فائدة:** تقدَّم أنَّ مذهب سلف الأمَّة أنَّ عذاب القبر يكون على البدن والروح، فالروح تتعلَّق بالبدن في خمسة مواطن:

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٦٧) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢).

١- تعلُّقها في بطن الأم جنينًا.
٢- تعلُّقها به بعد ولادته.
٣- تعلُّقها به في حال النوم.
٤- تعلُّقها به في البرزخ.
٥- تعلُّقها به يوم البعث.

مسألة ٥٣/٧: وهل يستمر عذاب القبر؟

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا إذا كان الإنسان كافرًا -والعياذ بالله- فإنه لا طريق إلى وصول النعيم أبدًا، ويكون عذابه مستمرًّا، وأمَّا إن كان عاصيًا، وهو مؤمن فإنه إذا عُذِّب بقبره يعُذَّب بقدر ذنوبه، وربما يكون عذاب ذنوبه أقل من البرزخ الذي بين موته وقيام الساعة، وحينئذ يكون منقطعًا»(١).

مسألة ٥٤/٧: وهل يستفيد المسلم من فتنة القبر؛ بتخفيف سيئاته، أو محوها؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة، والضغطة، والروعة، فإنَّ هذا مِمَّا يكفَّر به الخطايا»(٢).

وقال أيضًا: ما يحصل للمؤمن في الدنيا، والبرزخ، والقيامة من الآلام التي هي عذاب، فإن ذلك يُكفِّر الله به خطاياه، كما ثبت في الصحيحين عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ الله بِهِ مِنْ خَطَايَاهُ»**(٣).

---

(١) انظر: الممتع (٣/ ٢٥٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٧٥).



۞ **مسألة ٥٥/٧: هل هناك أسباب لعذاب القبر؟**

الجواب: نعم هناك أسباب، منها:

١- النميمة. **٢- عدم التنزُّه من البول.**

ويدلُّ على ذلك: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ أنه مر على قبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ...**»[١].

* **فائدة**: الاستنزاه من البول يكون بأمرين:

الأول: أن يتحرَّز الإنسان من رشاش البول أن يصيبه، أو يصيب ثيابه؛ وذلك بأن يتبول في مكان رخو من الأرض، ولا يتبول في مكان صلب، فيرجع رذاذ البول على جسمه، أو ثيابه.

الثاني: أنه إذا أصابه البول يبادر إلى غسله، وإزالته؛ لأنَّ هذا من الاستنزاه، وهذا يجب عليه فعله.

٣- الغيبة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: «وأخرج أحمد، والطبراني بإسناد صحيح عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِير وَبَكَى -وَفِيهِ- وَمَا يُعَذَّبَانِ إِلَّا فِي الْغِيبَة، وَالْبَوْل**» ولأحمد، والطبراني أيضًا من حديث يعلى بن شبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْر يُعَذَّب صَاحِبه فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا كَانَ يَأْكُل لُحُوم النَّاس، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَة**» الحديث، ورواته موثوقون»[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢١٨)، رواه مسلم برقم (٢٩٢).

(٢) انظر: فتح الباري المجلد العاشر حديث (٦٠٥٢).

٤- الغلول من الغنيمة.

والغلول هو: السرقة من مال الغنيمة قبل قسمتها، والغلول من الغنيمة من أسباب عذاب القبر.

ويدلُّ على ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَتَحَ الله عَلَيْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا، وَلَا وَرِقًا؛ غَنِمْنَا الْمَتَاعَ، وَالطَّعَامَ، وَالثِّيَابَ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إِلَى الْوَادِي وَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَبْدٌ لَهُ...فَلَمَّا نَزَلْنَا الْوَادِي قَامَ عَبْدُ رَسُولِ الله ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ، فَرُمِيَ بِسَهْم فَكَانَ فِيهِ حَتْفُهُ، فَقُلْنَا: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ يا رَسُولَ الله، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتَهِبُ عَلَيْهِ نَارًا، أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْبَرَ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ**» قَالَ: فَفَزِعَ النَّاسُ...»[١].

- وهناك أسباب لعذاب القبر جاءت في حديث طويل، رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب، في قصة رؤيا النَّبيِّ ﷺ مع الملكين، فرأى أنواعًا من عذاب القبر، وذكر له الملكان سبب كل عذاب رآه، **ومن ذلك**:

٥- هجر القرآن الكريم، ورفضه.

٦- النوم عن الصلاة المكتوبة.

ويدلُّ على ذلك: ما جاء في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النَّبيُّ ﷺ في قول الملكين: «**أَمَّا الَّذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفِضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٣٤)، رواه مسلم برقم (١١٥).

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٨٦).



قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين: ترك القراءة، وترك العمل»[١].

٧- الكذب.

ويدلُّ على ذلك: ما جاء في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قول الملكين: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**»[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما استحق التعذيب لِمَا ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد، وهو فيها مختار غير مكره، ولا مُلجأ، قال ابن هبيرة: لَمَّا كان الكاذب يساعد أنفُه وعينُه لسانَه على الكذب بترويج باطله وقعت المشاركة بينهم في العقوبة»[٣].

٨- الزِّنـا.

ويدلُّ على ذلك: ما جاء في حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قول الملكين: «**وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي**» وفي أول الحديث قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ...فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ**» قَالَ: «**فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ**»[٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مناسبة العري لهم؛ لاستحقاقهم أن يفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى»[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري المجلد الثاني عشر باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح.

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٨٦).

(٣) انظر: فتح الباري الموضع السابق.

(٤) رواه البخاري برقم (١٣٨٦).

(٥) انظر: فتح الباري الموضع السابق.

٩- أكل الرِّبـا.

ويدلُّ على ذلك: ما جاء في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال النَّبيُّ ﷺ في قول الملكين: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ، وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ؛ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا**»[(١)].

قال ابن حجر رحمه الله: «قال ابن هبيرة: إنما عوقب آكل الربا بسباحته في النهر الأحمر، وإلقامه الحجارة؛ لأن أصل الربا يجري في الذهب، والذهب أحمر، وأمَّا إلقام المَلَك له الحجر فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئا، وكذلك الرِّبا فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه يمحَقُه»[(٢)].

وقد ذكر ابن القيِّم رحمه الله أسباب عذاب القبر، والأسباب المنجِّية منه، فانظر كتابه: (**الروح**) للاستزادة.

مسألة ٥٦/٧: هل هناك أحدٌ يُستثنى من فتنة القبر فلا يُسأل؟

هناك من يُستثنَى، فلا يُفْتَن في القبر:

أولًا: شهداء المعركة.

فعَن رجل من أصحاب النَّبيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٨٦).

(٢) انظر: فتح الباري الموضع السابق.

(٣) رواه النَّسَائي برقم (٢٠٥٥)، وصححه الألباني.



ثانيا: المرابط في سبيل الله تعالى.

فعَن سلمان رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ، قال ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»[1].

وكذلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأنَّ الأنبياء يُسأل عنهم في فتنة القبر، فيقال: من نبيك؟

۞ مسألة ٥٧/٧: كل الجسد سيَبلى في القبر، إلا: (عَجْبَ الذَّنَبِ).

فكل جسد ابن آدم سيأكله التراب، إلا: عَجب الذنب، **دلَّ على ذلك**: حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[2]، وفي رواية: «**إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**عَجْبُ الذَّنَبِ**»[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ: عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[4].

إلا أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ففي سنن أبي داود، والنَّسَائي، وابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، من حديث أَوْسِ بن أَوْسٍ عن

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩١٣).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

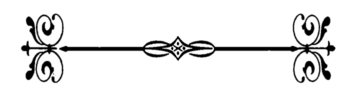
(٣) رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

(٤) رواه البخاري برقم (٤٩٣٥)، رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

النَّبيِّ ﷺ، قال: **«إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ -أَيْ: يَقُولُونَ: قَدْ بَلِيتَ- قَالَ: **«إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»**[1].

قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث الأول: «(عَجْب الذنب) هو بفتح العين، وإسكان الجيم، أي: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو: رأس العصعص».

...هكذا هو حالك في قبرك، إمَّا بنعيم فتسعد، وإمَّا بجحيم فتشقى حتى يُتَجَاوز عنك، وستكون على حالك هذه حتى يبعثك الله -تعالى-، ولك أن تتفكَّر فيمن مات منذ سنوات عديدة، ما حاله؟



(١) رواه أحمد برقم (١٦١٦٢)، رواه أبو داود برقم (١٠٤٧)، رواه النسائي برقم (١٣٧٦)، رواه ابن ماجه برقم (١٠٨٥).




فصل في: البعث

(البعث): يعني الانتقال من الحياة البرزخية (القبر)، إلى عَرَصَات يوم القيامة.

والعَرَصَات: جمع عرْصة، وهو المكان الواسع الذي لا بناء فيه، ولا شجر.

۞ **مسألة ٥٨/٨: النفخ في الصور هو أول خطوات الانتقال من الحياة البرزخية إلى اليوم الأعظم يوم القيامة. فما هو النفخ في الصور؟ ومن الملَك الموكَّل به؟**

الصُّور لغة: القرن، **وشرعًا**: قرن عظيم، التقمه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وينتظر الأمر بالنفخ فيه.

وأجمع العلماء أنَّ إسرافيل أحد الملائكة -عليهم السلام- هو الموكَّل بالنفخ فيه، ونقل الإجماع على ذلك الحليمي، وغيره[1].

والنَّفخ في الصور ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع السَّلَف، وستأتي الأدلة عليه بإذن الله تعالى.

ولتعلم أنَّ النفخة الأولى هي: **نفخة (الصعق)** -وستأتي الأدلة عليها- وهي خاصة فيمن بقي في الحياة الدنيا؛ لأنه لا يخفاك أن من الناس من يموت خلال أيام هذه الحياة الدنيا، وتعددت أسباب موتهم، وهناك أناس يبقون إلى آخر الحياة الدنيا، فلا يموتون إلا بعد ظهور علامات الساعة الكبرى، وسبب موتهم هو: **النفخة الأولى**، التي هي نفخة **(الصعق)**، وهذه تكون بعد أن يعايش الناس علامات الساعة الكبرى، حتى يأتي يوم تتوقف فيه الحركة في هذا الكون العجيب، فيهلِك الله -تعالى- جميع

(١) انظر: الفتح (١١/ ٣٦٨).

الأحياء، ويبقى سبحانه المتفرِّد بالحياة الكاملة: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

مسألة ٨/٥٩: ما حال النَّاس إذا نفخ في الصور النفخة الأولى؟

هي نفخة هائلة مدمِّرة، من يسمعها لا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر العودة إلى أهله، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥٠]، يسمعون هذه الصيحة وهم يتخاصمون في بيعهم، وشرائهم، وشؤون حياتهم الدنيوية، فإذا سمعوها لم يستطيعوا توصية بشيء، أو توصية بتوبة، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهاليهم؛ ليأمنوا عليهم، وعلى أنفسهم، ولا يسمع أحد تلك الصيحة إلا أمال صفحة عنقه ورفعها -والله المستعان-، وأول من يسمعها رجل يُصلِح حوض إبله، فيُصعق ثم يُصعق الناس، ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا، وَرَفَعَ لِيتًا**»، قَالَ: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ**»، قَالَ: «**فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ...**»[1].

مسألة ٨/٦٠: وهل النفخة الأولى قريبة، أم بعيدة؟

هي قريبة جدًّا، وهي لزماننا اليوم أقرب وأقرب -والله المستعان-، ولك أن تتأمَّل قربها بتأمل هذا الحديث:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ**»،

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٤٠)، واللِّيت: بكسر اللام، وهي: صفحة العنق، «وأصغى»: أي أمال، و«يلوط حوضه»: يطيِّنه، ويصلحه.



قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ رَبِّنَا**»(١).

- **النفخة الأولى تسمَّى: (نفخة الصعق).**

قال الله -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وتسمَّى أيضا: **(الراجفة)**؛ لأنَّ النفخة الثانية هي: **(الرادفة)** التي هي نفخة البعث وستأتي، قال الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]، والنفخة الأولى أيضا تسمَّى: **(الصيحة)**، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وأيضا النفخة الثانية تسمَّى: **(الصيحة)** قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

۞ مسألة ٦١/٨: وهل هناك نفخة أخرى غير هذه النفخة التي يموت بعدها الناس؟

الجواب: نعم -أحسن الله لك الختام-؛ هناك نفخة أخرى يقوم الناس منها لرب العالمين؛ وهي: **نفخة البعث**.

واعلم -رحمك الله- أن أهل العلم اختلفوا في عدد النَّفخات، **وإليك البيان**:

اختلف أهل العلم في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أنها نفختان: نفخة يُصعَق فيها الناس فيموتون، ونفخة أخرى يبعثون بها من قبورهم، فهما نفختان: نفخة الصعق، ونفخة البعث.

---

(١) رواه أحمد برقم (١١٠٣٩)، رواه الترمذي برقم (٣٢٤٣) وقال: «حديث حسن»، وذكره الألباني في الصحيحة، انظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٦) حديث (١٠٧٩).

واستدلوا بـ:

أ- قول الله -تعالى-: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٤٩-٥١]، ووجه الدلالة: أن في الآية نفختين فقط، الأولى: وهي نفخة (الصعق)، في قوله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس: ٤٩]، والثانية في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]، وهذه نفخة: (**البعث**).

ب- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[1].

وموطن الشاهد: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ**»، وهذا يدل على أنهما نفختان فقط، واختار هذا القول القرطبي[2]، وابن حجر[3] رحمهما الله.

والقول الثاني: أنهما ثلاث نفخات: نفخة: (**الفزع**)، ونفخة: (**الصعق**)، ونفخة: (**البعث**).

وقالوا: نفخة (**الفزع**) هي التي يفزع الناس منها، ثم تأتي نفخة (**الصعق**) فيموتون، ثم تأتي نفخة (**البعث**) بعد ذلك.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨١٤)، رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

(٢) انظر: التذكرة (ص١٨٣).

(٣) انظر: الفتح (١١/ ٣٦٩).

واستدلوا بـ: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٧]، فقالوا: هذه نفخة **(الفزع)**.

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، ففي هذه الآية نفختان نفخة **(الصعق)**، ونفخة **(البعث)**، ومجموع النفخات: ثلاث.

واختار هذا القول ابن العربي، وابن تيمية[١]، وابن كثير[٢]، والسفاريني[٣] رحمهم الله.

وردَّ أصحاب القول الأول: بأنه لا يمنع أن يكون فزع في نفخة **(الصعق)**، وليست نفخة مستقلة، فهذا جواب الآية.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصلا معًا من النفخة الأولى»[٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمين لها، أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه»[٥].

* **فائدة:** ذهب ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن عدد النفخات أربعة: نفخة إماتة، ثم نفخة إحياء، ثم نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه، ثم نفخة إفاقة من ذلك الغشيان[٦].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠).

(٢) انظر: النهاية (١ / ٢٥٣).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٦١).

(٤) انظر الفتح (١١/ ٣٦٩).

(٥) انظر: التذكرة (ص ١٨٤).

(٦) انظر: الفتح (٦/ ٤٤٦).

مسألة ٨/٦٢: كم المدَّة بين النفخة الأولى، والثانية؟

قال الله -تعالى- في النفختين: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٤٩، ٥١].

وبيَّن النَّبيُّ ﷺ أن ما بينهما أربعين، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ»[1].

مسألة ٨/٦٣: ثم يكون بعد ذلك (البعث)، فما هو (البعث)؟ وما الدليل عليه؟

البعث لغة: الإرسال، والنشر.

وشرعًا: إحياء الأموات يوم القيامة.

- **والبعث دلَّ عليه الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.**

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

ومن السُّنة: حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم: قال النَّبي ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[2].

وأجمع السَّلَف -رحمهم الله- على إثبات البعث ليوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٧٨).

• **لعظم أمر البعث؛ جاء إثباته في القرآن، والسُّنَّة بطرق كثيرة، منها:**

١/ **تارة بالتصريح:** كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقوله: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

٢/ **وتارة بتذكير الإنسان بنشأته الأولى:** كقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥-٨].

٣/ **وتارة بالاستدلال بإنبات النبات على إحياء الأموات:** كقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

٤/ **وتارة بالإشارة، والتأمُّل في خلق السموات والأرض:** كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

٥/ **وتارة بتنزيه الله -تعالى- عن العبث، إذ أنه لو لم يكن هناك بعث لكانت الأوامر، والنواهي، والجزاء من العبث:** كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٦/ **وتارة بذكر القصص، والوقائع التي تدلُّ على البعث:** كقِصَّة الذي مرَّ على قرية، وهي خاوية على عروشها، فأماته الله -تعالى- مائة عام، ثم بعثه، وقِصَّة قتيل بني إسرائيل، وقِصَّة الذين أُخرِجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة، وقِصَّة أصحاب الكهف.



مسألة ٨/٦٤: متى يكون البعث؟

البعث -أطال الله بعمرك على طاعته- يكون بعد النفخة الثانية، ولكن قبل النفخة ينزل ماء من السماء تنبت منه أجساد العباد، **دلَّ على ذلك**: حديث ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم، وقد تقدَّم مرفوعا: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**» قَالَ: «**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ**». قَالَ: «**فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ الله** -أَوْ قَالَ:- **يُنْزِلُ الله مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظِّلُّ** -نُعْمَانُ الشَّاكُّ (أحد رواة الحديث)- **فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلموا إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ...**»[1].

وإنبات الأجساد بعد نزول المطر عليها يماثل إنبات النبات من الأرض إذا نزل الماء عليها؛ ولذا كثيرًا ما يضرب الله -تعالى- في كتابه الكريم المثل للبعث، والنشور، بإحياء الأرض بالنبات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وتقدَّم أن جسد الإنسان يبلى في القبر إلا: (**عَجْب الذنب**)، فمِنه يُركَّب الخلق يوم القيامة، وتقدَّم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ثُمَّ يُنْزِلُ الله مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**»[2]، وعنه مرفوعًا: «**وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٤٠).

(٢) البقل: قال أهل اللغة: البقل: كل نبات أخضرت به الأرض، رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٩٣٥)، رواه مسلم برقم (٢٩٥٥).



وأول من تنشق عنه الأرض فيبعث: هو النَّبي ﷺ.

فعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[١].

مسألة ٨/٦٥: هل البعث إيجاد للخلق مرة أخرى؟

لابد من الإيمان بأن البعث جمع متفرق لا إيجاد معدوم، فبعث الخلق معناه: أنَّ الله -تعالى- يعيد خَلْقَ الإنسان الذي تفرق، وليس إيجادًا لخلق جديد.

ويدلُّ على ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فالله -تعالى- يجمع خلق الإنسان ولو تفرَّق، وتجزَّأ في أي مكان، ولو أكلته السباع، أو حيوانات البحار، أو استحال فصار رمادًا بحرق ونحوه، فالله -جل وعلا- جامع خلقه[٢].

ففي سنن أبي داود، والترمذي، وصححه الحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النَّبيُّ ﷺ عن عمه حمزة رضي الله عنه -حين قتل في غزوة أحد-: «**لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا**»[٣].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (١٧ / ٢٥٧).

(٣) رواه أبو داود برقم (٣١٣٦)، رواه الترمذي برقم (١٠١٦)، وصححه الحاكم.



مسألة ٨/٦٦: كيف يُبعث الناس؟ وما حالهم؟

كل إنسان يُبعث على ما مات عليه، نسأل الله حسن الخاتمة.

ويدلُّ على ذلك: حديث جابر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[١].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه: يُبعث على الحالة التي مات عليها»[٢].

وقال طبيب القلوب ابن القيِّم رحمه الله عبارة عظيمة فتأملها، حيث قال: «الرجل يموت على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه».

ولهذا المعنى أدلَّة، وشواهد، منها:

١/ المُحْرِم: إذا مات بُعِث يوم القيامة ملبيا؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين في الرجل الذي وقصته ناقته وهو مُحْرِم مع النَّبيِّ ﷺ في حجة الوداع، قال النَّبيُّ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[٣].

٢/ الشهيد: يُبْعَث يوم القيامة وجُرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، دلَّ عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٧٨).

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (١٣) كتاب: الأشربة، باب: الأمر بحسن الظن بالله -تعالى- عند الموت.

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).

(٤) رواه البخاري برقم (٢٨٠٣)، رواه مسلم برقم (١٨٧٦).



٣/ **الغال من الغنيمة**، يأتي يوم القيامة بما غَلَّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يأتي به حاملًا له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد»(١).

٤/ **آكل الرِّبا**: يبعث يوم القيامة على حال معينة استحقها؛ لأكله الرِّبا، فإنه يُبعث يوم القيامة كالمجنون الذي أصابه المس؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قيامًا منكرًا، وقال ابن عباس: "آكل الرِّبا يبعث يوم القيامة مجنونًا يُخنَق" رواه ابن أبي حاتم، قال: وروي عن عوف بن مالك، وسعيد بن جبير، والسُّدي، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان نحو ذلك»(٢).

٥/ **الغادر**: فإنه يوم القيامة تُرْفَع له راية تبيِّن غدرته، لاسيما من كانت له ولاية عامة بأن كان سلطانًا على عامَّة الناس؛ لأنه إذا غدر فغدرَته يتعدَّى ضررها إلى خَلْق كثير.

ويدلُّ على ذلك: حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المتفق عليه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ**

---

(١) انظر: تفسير الآية في تفسير القرطبي.

(٢) انظر: تفسير الآية في تفسير ابن كثير.

فُلَانٍ»[1]، وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد ﷺ: «**أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**»[2].

فالغالُّ، وآكل الرِّبا، والغادر، كلها أعمال استمر عليها أصحابها حتى ماتوا، فيبعثون يوم القيامة على حال تناسب ما ماتوا عليه؛ لأنهم لو تابوا قبل الموت تاب الله -تعالى- عليهم، وما تقدَّم بعض الشواهد التي دلت عليها النصوص، وتبقى عموم الأعمال تدخل تحت قول النَّبيِّ ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[3]؛ ولذا ينبغي على المسلم أن يُحسِن العمل؛ لتحسن الخاتمة، فيُحسن الحال التي يُبْعَث عليها.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وهذا من أعظم الفقه أن يخاف الرجل أن تخدعه ذنوبه عند الموت، فتحول بينه وبين الخاتمة الحسنة».

وقال الحافظ عبد الحق الأشبيلي رحمه الله: «ولسوء الخاتمة -أعاذنا الله منها- أسباب، ولها طرق وأبواب، وأعظمها: الانكباب على الدنيا، وطلبها والحرص عليها، والإعراض عن الآخرة، والإقدام والجرأة على معاصي الله...».

والكلام على الخاتمة الحسنة والسيئة، باب تطول معه أخبار السَّلَف خوفًا، وعملًا، وضربًا لأروع الأمثال، والله المستعان.

- ثم بعد البعث تبدأ أهوال ذلك اليوم، وكُرَبُه، نسأل الله -تعالى- تيسير ذلك، والأمن والفوز.

فيُحشَر الناس، وإليك بيان الحشر، وحال الناس فيه، وعِظَم موقفهم، وما فيه من أهوال، والله المستعان، وإليه المرجع والمآل.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣١٨٦، ٣١٨٧)، رواه مسلم برقم (١٧٣٥).

(٢) رواه مسلم برقم (١٧٣٨).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٨٧٨).



فصل في: الحشر

الحشر يأتي بعد البعث، فالناس يُبعَثون أولا، ثم يُحْشَرون.

مسألة ٩/٦٧: ما هو الحشر؟ وما الدليل عليه؟

لغـة: الجمع.

وشرعًا: جمع الخلائق يوم القيامة؛ لحسابهم، والقضاء بينهم.

- **والحشر ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.**

فمِن الكتاب: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

ومِن السُّنة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ**»(١)، وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

مسألة ٩/٦٨: حتى البهائم تُحشر يوم القيامة.

وهو الصحيح من قولي أهل العلم، **دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة.**

فمِن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٥٦١)، رواه مسلم برقم (٢٧٩٠). «عفراء»: هي البيضاء المائلة إلى الحمرة، والنقي: هو الدقيق.

ومن السُّنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الرسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[١].

قال النَّووي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال، والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسُّنَّة...قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة، المجازاة، والعقاب، والثواب، وأمَّا القِصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة...»[٢].

وأيضًا هو قصاص يبيِّن مدى العدل التام في ذلك اليوم، حتى بين البهائم، وأنه كما قال الله –تعالى-: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

۞ مسألة ٦٩/٩: وكيف يُحشَر العباد في ذلك اليوم؟

لقد سألت عن أمر عظيم، وموقف رهيب عصيب، فيا له من موقف، ويا لها من حال...يُحشر الناس **عُراة**؛ لا لباس عليهم كما ولدتهم أمهاتهم، و**حُفاة**؛ لا نعال لهم، و**غرلا**؛ غير مختونين.

دلَّ على ذلك: حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُول الله، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»[٣].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٥٨٢)، «الجلحاء» هي: التي لا قرن لها.

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم المجلد (١٦) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٢٧)، رواه مسلم برقم (٢٨٥٩).



وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**»(١).

ودلَّ حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الناس يُحشَرون عُراة، وأن أول من يُكسى إبراهيم عليه السلام، **واختُلِف في الحِكمة من ذلك:**

قال ابن حجر رحمه الله: «قيل: الحكمة في كون إبراهيم أول من يكسى: أنه جُرِّد حين ألقي في النار، وقيل: لأنه أول من استنَّ التستر بالسراويل، وقيل: إنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه، فجعلت له الكسوة أمانًا له؛ ليطمئن قلبه، وهذا اختيار الحليمي، والأول اختيار القرطبي»(٢).

فأول من يُكسى إبراهيم عليه السلام، ثم يُكسى الناس بعد ذلك، فالصالحون يُكسَون ثيابا كريمة تناسب حالهم، والطالحون يسربلون بسرابيل القطران، ودروع الجَرَب، ونحوها من الملابس التي تناسب حالهم.

ففي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(٣).

إشكال: تقدَّم أن الناس يُحشرون حُفاة، عُراة، غُرلا، وجاء في بعض النصوص أن كل إنسان يُبعث في ثيابه التي مات فيها، وهذا يتعارض مع ما سبق، فقد روى

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٤٩)، رواه مسلم برقم (٢٨٦٠). «حُفاة»: أي: غير منتعلين، «عُراة»: أي: ليس عليهم أثواب كما ولدتهم أمهاتهم، «غرلًا»: أي: غير مختونين.

(٢) انظر: الفتح المجلد (١١) كتاب الرقاق، باب الحشر.

(٣) رواه مسلم برقم (٩٣٤).

أبو داود، وابن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبِسَهَا ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ المَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ التي يَمُوتُ فيهَا**»[١].

ولقد جمع البيهقي رحمه الله **بثلاثة أوجه بين هذا التعارض:**

الأول: أن ثيابهم تَبْلَى بعد قيامهم من قبورهم، فإذا قدموا الموقف يكونون عُراة، ثم يلبسون من ثياب الجنَّة.

الثاني: أنهم يكونون عُراة، ثم يكسى الأنبياء، ثم الصِّديقون، ثم الناس على حسب مراتبهم، فتكون كسوة كل إنسان من جنس ما يموت فيه، ثم إذا دخلوا الجنَّة لبسوا من ثياب الجنة.

الثالث: أنهم يكونون عُراة، وأمَّا الثياب الواردة في حديث أبي سعيد رضي الله عنه فالمراد بها الأعمال، أي: يبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر، قال الله -تعالى-: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، أي: طهر أعمالك من الشرك، ونحوه، وهذا فيه دلالة على أنَّ الأعمال تسمَّى: ثيابًا.

ويشهد لذلك أيضا: حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ**»[٢]، وهذا فيه دلالة على أنهم يبعثون بأعمالهم التي هي ثيابهم بناء على هذا الجمع، واستدل بأدلة أخرى[٣].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣١١٤)، رواه ابن حبان (١٦/ ٣٠٧)، رواه الحاكم (١/ ٤٩٠)، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٤/ ٢٣٤) حديث (١٦٧١).

(٢) رواه البخاري برقم (٧١٠٨)، رواه مسلم برقم (٢٨٧٩).

(٣) انظر: النهاية لابن كثير (١/ ٢٨٨).

وبما أننا ذكرنا حال الأبدان في ذلك اليوم، فإنَّ من المناسب أن نذكر أوصاف الناس عمومًا في ذلك اليوم الرهيب؛ **فتأمل:**

- **الأبدان:** حُفاة، عُراة، غرلا، وتقدَّم بيان ذلك.

- **الوجوه:** قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]، أي: ذلَّت، وخضعت.

- **الأبصار:** قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾ [القيامة: ٧]، أي: اضطربت أبصارهم، وخافت من الهول.

- **القلوب:** قال تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [النازعات: ٨]، أي: اضطربت، وصارت سريعة الخفقان.

- **تُنْسَى الأنساب:** ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

- **يجثون على الركب:** ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]

- **لا يخفى شيء من أمرهم على الله -تعالى-:** ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]، فالخفايا، والسرائر تظهر في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩].

- **يُعرَضون صفًّا أمام الله -تعالى-:** ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨].

- **لا يتكلمون:** ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥].

فإن قيل: كيف نجمع بين كونهم لا يتكلَّمون، وبين الآيات التي تدلُّ على أنهم يتكلمون، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠]؟

الجواب من وجهين:

الأول: أنَّ يوم القيامة يوم طويل، ففي موقف منه يتكلمون، وفي موقف آخر يصمتون.

الثاني: أنَّ الأصل أنهم لا يتكلمون إلا لمن أذن له الرحمن -جل وعلا- أن يتكلم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

- الناس في ذهول، وخوف، وهلع، كل منشغل بنفسه: فيفر الإنسان عن أقرب الناس إليه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [النازعات: ٣٤-٣٦]، بل من شدَّته تذهل المرضع عن رضيعها، والحامل عن جنينها فيما لو قُدِّر أن هناك حمل وإرضاع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، وإذا كان الولدان الصغار تشيب عوارضهم من الخوف، والهلع، وهم لم يرتكبوا جرمًا، فما بالك بغيرهم من الناس؟! قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، وهناك أوصاف أخرى لهذا اليوم، لكن الكلام هنا عن حال الناس عموما، وسيأتي مزيد بيان -بإذن الله تعالى- في [فصل: أحوال الناس يوم القيامة]، فهناك أوصاف خاصة سيأتي ذكرها، والله المستعان.

- وإذا حُشر الناس، كان في ذلك الجمع، هَمٌّ، وغَمٌّ، وكرب، ودنو للشمس من الناس مقدار ميل، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث سليم بن عامر، عن

المقداد رضي الله عنه مرفوعًا: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؛ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ؟ أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟[١].

- **وماذا يفعل الناس في ذلك الموقف؟** سيأتي بيان ذلك في حديث الشفاعة قريبًا.

مسألة ٧٠/٩: هل جاء في وصف أرض المحشر شيءٌ؟

نعم -رعاك الله-، فالأرض التي يُحشر الناس عليها يوم القيامة غير أرضنا هذه التي نعيش فيها -واختُلِفَ في التغيير -كما سيأتي- يقول الله -تعالى- مبينًا الأرض التي يُحشر الناس فيها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وتقدم قريبًا حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وفيه بيان هذا التبديل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ**[٢]، **كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ**»، قال سهل أو غيره: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»[٣].

وأهل العلم في هذا التبديل على قولين:

قيل: إنَّ الأرض كلها تتغير، أي: أنَّ حشر الناس يكون في غير هذه الأرض، **وقيل:** إنَّ التغيير إنما يكون في صفات الأرض، حتى لا يكون فيها لأحد شيء، ولا علامة، وكأنها أرض أخرى جديدة، ولكل واحد من القولين آثار تدل عليه.

* **فائدة:** من أهل العلم من ذكر تقسيمًا جيدًا للحشر، **فقسَّمه إلى ثلاثة أنواع:**

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٦٤).

(٢) عفراء: هي البيضاء المائلة إلى الحمرة، والنقي: هو الدقيق، والمَعْلَم: هو العلامة الدالَّة على شيء، على طريق، أو جبل، أو بيت ونحوهما، فلا أحد يعرف فيها شيئًا، ولا علامة.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٢١)، رواه مسلم برقم (٢٧٩٠).

الأول: حشر الناس بعد بعثهم، وهو ما تقدَّم ذكره.

والثاني: حشر الناس إلى أرض الحساب، وذلك بعد أن يأخذ الله -تعالى- الأرض بقبضته، ويطوي السموات بيمينه.

ويدلُّ على ذلك:

حديث مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَتَدْرِي مَا سَعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ وَالله مَا تَدْرِي، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُول الله ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ قَالَتْ: قُلْتُ: فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُول الله ﷺ؟ قَالَ: «**عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ**» وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ»[1].

وعند مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»[2].

وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: سأل اليهودي رسول الله ﷺ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»...الحديث[3].

والثالث: حشر الناس إلى الجنة والنار، وذلك بعد قضاء الحساب، وتميز الكفار من المؤمنين، يُحشَر الكفار إلى النار على وجوههم، ويُحشر المؤمنون على أقدامهم، والمقربون من المؤمنين يُحشرون على الدواب راكبين.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٢٤١)، قال: «هَذَا حديث حسن، صحيح، غريب من هذا الوجه»، وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (١٠ / ٥٢٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٩١).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٨٠٦).



ويدلُّ على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٤]، وعن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رجلا قال: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا[1] وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥] يعني: راكبين الدواب[2].

وعن بَهْز بن حكيم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُم**»[3]. قال أبو عيسى رحمه الله: هذا حديثٌ، حسنٌ، صحيح، وقال الحافظ رحمه الله في الفتح: «سنده قوي»[4]. هذا هو الكلام على المحشر، وهنا وقفتان قبل أن تقرأ -أيها المبارك- في أهوال ذلك اليوم العصيب:

- **الوقفة الأولى: اختلف أهل العلم في ترتيب أحوال يوم القيامة.**

فإنَّ ما يحصل يوم القيامة، وما يكون مِمَّا ورد في الكتاب والسُّنَّة، أشياء كثيرة: قيام الناس، والحوض، والميزان، والصُّحُف، والحساب، والعرض، وتطاير الصُّحُف، وأخذ الكتاب، الصراط، والظلمة، وهذه أشياء متنوعة.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٠٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٧٣).

(٣) رواه الترمذي برقم (٢٤٢٤).

(٤) انظر: هذا التقسيم في التذكرة للقرطبي، باب الحشر ومعناه (١/ ٣٠٧).

فكيف يكون ترتيبها؟

أولا: لا يوجد نصٌّ صريح في ترتيبها؛ ولذا وقع الخلاف في هذه المسألة.

ثانيًا: سأعطي عرضًا موجزًا لِما سيأتي، ثم ندخل في تفاصيله، وهذا العرض الموجز ذكره الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- وأنه هو الذي قَرَّرَهُ المحققون من أهل العلم.

وأنَّ ترتيبها كالتالي:

١/ إذا بُعث الناس، وقاموا من قبورهم، ذهبوا إلى أرض المحشر، ثم يقومون فيها قيامًا طويلا، تشتد معه حالهم وظمؤُهُم، ويخافون في ذلك خوفًا شديدًا؛ لأجل طول المقام، ويقينهم بالحساب، وما سيُجري الله ﷻ عليهم.

٢/ فإذا طال المُقام رَفَعَ الله ﷻ لنبيِّه ﷺ أولًا حوضه المورود، فيكون حوض النَّبيِّ ﷺ في عَرَصَات القيامة، إذا اشتد قيامهم لرب العالمين، في يوم كان مقداره خمسين ألف سَنَة.

فمن مات على سنَّته غير مُغَيِّرٍ، ولا مُحْدِثٍ، ولا مُبَدِّل، وَرَدَ عليه الحوض، وسُقِيَ منه، فيكونُ أول الأمان له أن يكون مَسْقِيًّا من حوض نبينا ﷺ، ثم بعدها يُرْفَعُ لكل نبي حوضه، فيُسْقَى منه صالح أمته.

٣/ ثم يقوم الناس مُقامًا طويلًا، ثم تكون الشفاعة العظمى: شفاعة النَّبيِّ ﷺ، بأن يُعَجِّلَ الله ﷻ حساب الخلائق، في الحديث الطويل المعروف أنهم يسألونها آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم إلى آخره، فيأتون إلى النَّبيِّ ﷺ ويقولون له: يا محمد، ويصِفُونَ له الحال، وأن يقي الناس الشِّدَّة بسرعة الحساب، فيقول ﷺ -بعد طلبهم: اشفع لنا عند ربك-: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»، فيأتي عند العرش فيخرُّ، فيحمد الله ﷻ بمحامد يفتحها الله -سبحانه- عليه، ثم يقال: «**يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ**»، فتكون شفاعته العظمى في تعجيل الحساب.



٤/ بعد ذلك يكون العرض: عرض الأعمال.

٥/ ثم بعد العرض يكون حساب.

٦/ وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض؛ لأن فيه جدال، ومعاذير، ثُمَّ بعد ذلك تتطاير الصحف، ويُؤْتَى أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم، فيكون قراءة الكتاب.

٧/ ثم بعد قراءة الكتاب، يكون هناك حساب أيضًا؛ لقطع المعذرة، وقيام الحجة بقراءة ما في الكتب.

٨/ ثم بعدها يكون الوزن -الميزان-، فتوزن الأشياء التي ذكرنا.

٩/ ثم بعد الميزان ينقسم الناس إلى طوائف وأزواج -أزواج بمعنى: كل شكل إلى شكله-، وتُقَامُ الألوية -ألوية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام-: لواء محمد ﷺ، ولواء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، ولواء موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى آخره، ويتنوع الناس تحت اللواء بحسب أصنافهم، كل شَكْلٍ إلى شكله.

والظالمون، والكفرة أيضًا يُحْشَرُونَ أزواجًا -يعني: متشابهين- كما قال تعالى: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]؛ يعني: بأزواجهم: أشكالهم، ونُظَرَائهِمْ، فيُحْشَر علماء المشركين مع علماء المشركين، ويُحْشَر الظلمة مع الظلمة، ويُحْشَر منكري البعث، مع منكري البعث، ويُحْشَر منكري الرسالة مع منكري الرسالة، وهكذا في أصناف.

١٠/ ثُمَّ بعد هذا يَضْرِبُ الله ﷻ الظُّلمة قبل جهنم -والعياذ بالله-، فيسير الناس بما يُعْطَونَ من الأنوار، فتسير هذه الأمَّة وفيهم المنافقون، ثُمَّ إذا ساروا على أنوارهم ضُرِبَ السُّور المعروف: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ

ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الحديد: ١٣-١٤] الآيات، **فيُعْطِي الله** ﷻ المؤمنين النور فيُبْصِرُون طريق الصراط، وأمَّا المنافقون فلا يُعْطَون النور، فيكونون مع الكافرين يتهافتون في النار، يمشون وأمامهم جهنم، والعياذ بالله.

١١/ ثم يأتي النَّبيُّ ﷺ أولًا ويكون على الصراط، ويسأل الله ﷻ السلامة له ولأمته، فيقول: «**اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» فَيَمُر ﷺ وتَمُرُّ أمته على الصراط، كُلٌّ يمر بقدر عمله، ومعه نور أيضًا بقدر عمله، فيمضي مَنْ غَفَرَ الله ﷻ له، ويبقى في النار، يسقط في النار في طبقة الموحِّدين من شاء الله ﷻ أن يُعَذِّبه.

ثم إذا انتهوا من النار اجتمعوا في عَرَصَات الجنَّة -يعني: في السَّاحات التي أعدها الله ﷻ-؛ لأن يَقْتَصَّ أهل الإيمان بعضهم من بعض، ويُنْفَى الغِلُّ حتى يدخلوا الجنَّة، وليس في قلوبهم غِلٌّ.

١٢/ فيدخل الجنَّة أول الأمر بعد النَّبيِّ ﷺ فقراء المهاجرين، ثم فقراء الأنصار إلى آخره، ثم فقراء الأمَّة، ويُؤَخَّر الأغنياء؛ لأجل الحساب الذي بينهم، وبين الخلق، ولأجل محاسبتهم على ذلك[1].

وقيل في ترتيبها غير ما تقدَّم، وكما ذكرتُ سابقا: في المسألة خلاف؛ لعدم وجود النَّص القاطع في ترتيبها، وبقي أحداث، وأحوال لم تُذكر، سيأتي بيانها بإذن الله تعالى.

الوقفة الثانية: لتعلم أنَّ البداية بعد البعث تكون من أرض المحشر، وعندها اعلم أن هول ذلك اليوم هول عظيم، فأعدَّ لهذا اليوم عدَّته، فهو طويل وطويل، فيه مشاقٌّ، ومصاعب، ولك أن تتصور أن فيه من هوله ما يشيب معه الصغير، وما

---

(١) انظر: كتاب إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل للشيخ صالح آل الشيخ المسألة التاسعة.

تذهل معه المرضع والحامل عن ولدهما، وما يجعل الناس كأنهم سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله -تعالى- شديد، إنه يوم عظيم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].، إنه يومٌ القلوب والأبصار فيه مضطربة متقلبة: ﴿يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، وتنقطع فيه الأنساب، إنه يوم طويل ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]، ولا تظن -أيها المبارك- أنَّ اليوم أربعٌ وعشرون ساعة، لا، فالله -تعالى- أخبرنا بقوله: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فما أطوله من يوم؟ وما أغفلها من قلوب؟ والله المستعان، إنه يوم فيه القدوم على الله -تعالى-، فعلى أي حال ستَقْدم على ربك جل في علاه؟! ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٤].

ووالله، لو قيل لنا: مطلوب منك المثول بين يدي قاضٍ من قضاة الدنيا، أو مِلِك من ملوك الدنيا، لاهتممنا، وانشغلت أذهاننا عن الطعام، والشراب، والكلام، ولَمَا تلذَّذنا براحة أو منام، ولفزعنا؛ لأننا نتصور ما نحن مقدمون عليه جيدًا، فكيف ويوم القيامة سنقف فيه بين يدي ملك الملوك وقاضي القضاة: **الله رب الأرض والسماوات؟!**

يا غافلًا عما خلقت له انتبه ** جدَّ الرحيل ولست باليقظان

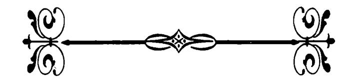
يوم القيامة لو علمت بهوله لفررت من أهل ومن أوطان

اللهم أيقظ قلوبنا من الغفلات، وألسنتنا من الزلات، وأعيننا من الزيغ، يا سميع يا مجيب وارزقنا يا إلهي الإقبال على الآخرة، والزهد في الدنيا، يا سميع الدعاء.

وسأقف -أخي المبارك- عن تتابع خطوات ذلك اليوم، ونقف في عرض مسائلنا في أرض المحشر، حتى نأخذ فصلين مهمَّين:

أولهما: فصل في: (**أهوال يوم القيامة**).

وثانيهما: فصل في: (**أحوال الناس يوم القيامة**)، ثم نرجع وننطلق مرة أخرى من أرض المحشر، فإليك بيان هذين الفصلين.





فصل في: أهوال يوم القيامة

تأمَّل -أيها المبارك- في هذه الأشياء العِظَام التي لطالما ولازلنا نتعجب من عظمتها، وقوتها: الأرض، والجبال، والبحار، والسماء، والشمس، والقمر، والنجوم، **ما حالها يا ترى؟**

تأمَّل في حالها؛ لتعرف هول المطلع، وتعرف كيف هو حالنا، وكيف القدوم على **الله تعالى؟**

أتركك لتتأمل، أيها المبارك:

١/ دكُّ الأرض، ونسف الجبال.

أخبر الله -تعالى- أن هذه الأرض التي نحن عليها، وما عليها من جبال راسيات، تُحمل يوم القيامة فتُدكُّ دكَّة واحدة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١٣-١٥]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، وبعد هذا الدَّكِّ تتحول الجبال الصلبة القاسية، إلى رمل ناعم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، أي: تصبح ككثبان الرمل المتراكبة، بعد أن كانت حجارة صمَّاء، **والرمل المهيل** هو: الذي إذا أخذت منه شيئا، تبعك ما بعده.

وفي موضع آخر: أخبرنا أنَّ الجبال تُفَتت، فقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة ٤-٦]، **وبُسَّت بَسًّا** أي: فتتت تفتيتا، **والهباء**: الغبار، **والمنبث**: الذي تذروه الرياح.

وأخبر في موضع آخر: أنَّ الجبال تكون كالعهن، أي: الصوف، فقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩]، وفي موضع آخر بالصوف المنفوش، فقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

ثم إن الله -تعالى- يزيل الجبال عن مواضعها، ويسوِّي الأرض فيجعلها قاعًا صفصفًا -أي: منبسطًا لا ارتفاع فيه، ولا انخفاض-، فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه ١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠]، أي: أقلعت عن أماكنها، وقال: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] -أي: أزيلت عن أماكنها-، حتى يُخيَّل للناظر أنه يرى شيئًا وليس هناك شيء بل هو سراب، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، أي: ظاهرة، لا ارتفاع فيها، ولا انخفاض.

٢/ تفجير البحار، وتسجيرها.

هذه البحار التي تعيش فيها كائنات عظيمة من خلق الله -تعالى-، وهذه البحار التي تغطي الجزء الأعظم من أرضنا تُفجَّر يوم القيامة، ثم تشتعل، وتسجر نارا، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي: «فجر الله بعضها في بعض»، وقال الحسن: «ذهب ماؤها».

وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أوقدت فصارت نارًا تضطرم».

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «والمعنى المتحصِّل من أقوالهم رحمهم الله: أنها يفجر بعضها في بعض، فتمتلئ، ثم تسجر، فتصبح نارًا، ثم يذهب ماؤها»[1].

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٢١٢) وانظر الأقوال السابقة فيه.



٣/ موران السماء، وانفطارها.

وأمَّا هذه السماء التي رفعها الله -تعالى- بغير عمد، وجعلها آية عظيمة يتفكر الناس فيها، فإنها يوم القيامة تمور مورانًا -أي: تضطرب اضطرابًا- عظيمًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، ثم هي تنفطر، وتشقق: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

وهي بعد تشققها تصبح كالأبواب المفتحة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩].

وهي عند انشقاقها أيضًا تكون ضعيفة واهية ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، فتكون يوم القيامة بعد انشقاقها كالوردة من شِدَّة وهنها، وضعفها ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، وتعطي ألوانا كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، قال الحسن البصري: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: تكون ألوانًا(١)، ثم بعد ذلك تُقلَع من مكانها، فالكشط معناه: القلع والنزع من مكانها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١].

٤/ قبض الأرض، وطي السماء.

ثم يطوي الله -تعالى- السماء ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحيح عن ابن عباس: أنَّ السجل هي الصحيفة، قاله علي بن أبي طلحة، والعوفي عنه، ونص على ذلك: مجاهد، وقتادة، وغير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة، فعلى هذا فيكون معنى الكلام: يوم تطوى السماء كطي السجل للكتاب، أي: على الكتاب، بمعنى: المكتوب»(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لهذه الآية.

(٢) انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

والله ﷻ يطوي السماء بيمينه، ويقبض الأرض بيده قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْبِضُ الله - تبارَكَ وَتَعَالَى- الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**»[١].

وفي صحيح مسلم، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَطْوِي الله ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ** -وفي رواية: **يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الأُخْرَى- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[٢].

وقيل: إنَّ هذا القبض للأرض، والطَّي للسموات يكون بعد أن يفني الله -تعالى- خلقه؛ لأن المقصود إظهار انفراده سبحانه بالملك، والبقاء، واختاره القرطبي رحمه الله[٣].

٥/ تكوير الشمس، وخسوف القمر، وتناثر النجوم.

هذه الشمس التي لا يستغني الناس عن نورها، وما تمدنا به من طاقة يوم القيامة، تُجمَّع وتكوَّر، ويذهب ضوؤها، قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١]، «﴿ كُوِّرَتْ ﴾: قال ابن عباس: أظلمت، وقال مجاهد: اضمحلت، وذهبت، وقال أبو صالح: أُلقيت، قال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك: أن

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٨١٢)، رواه مسلم برقم (٢٧٨٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٧٨٨).

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (ص١٧٢).

التكوير جمع الشيء بعضه إلى بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لُفَّت، فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها»(١).

وأمَّا القمر فإنه هو الآخر يُخْسَف، فيظلم، ويذهب ضوؤه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القيامة ٧- ٨].

وأمَّا هذه النجوم، والكواكب المتناثرة التي زيَّنت السماء، وكأنها مترابطة فإنَّ عقدها ينفرط، فتنتثر، ويذهب ضوؤها أيضًا فتُطمس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]، أي: انتثرت، وقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات: ٨]، أي: ذهب ضوؤها.

وبعد -أخي المبارك- هذا هو حال هذه الأفلاك، التي لطالما تعجَّبنا منها، وهي عظيمة ولا شك، لكن لهول ذلك الموقف -تأمَّل- كيف هو حالها؟!

وبقي أن تعرف حالي وحالك في ذلك الموقف الرهيب، فالإنسان في هذا التغير لهذه الأفلاك يتحير بصره فزعًا، ولا يطرف من شدة ما يرى من الهول والفزع، ويخسف القمر، وتجمع الشمس مع القمر، والإنسان من فزع ما به يقول: **أين المفر؟!**

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾، فيأتي الجواب: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾؛ أي: كلا لا مهرب، ولا مفر من هول ذلك اليوم: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ٧-١٣].

فيا له من لقاء، ويا لها من أنباء يتلقاها، فلا يخفى حينئذ من أمرك شيء: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨].

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٢١٣).

فيا إلهي خفف عني لقائي أنا وقارئ كلماتي، وسيأتي مزيد بيان لهذا الترهيب.

ونقل القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبياتًا في وصف أهوال ذلك اليوم:

مثل لنفسك أيها المغرور ** يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت ** حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ** وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ** ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ** فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت ** خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ** وتقول للأملاك أين تسير؟
وإذا تقاة المسلمين تزوجت ** من حور عين زانهن شعور
وإذا الموؤدة سئلت عن شأنها ** وبأي ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه ** طي السجلِّ كتابه المنشور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ** وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ** ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ** فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ** لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ** يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ** كيف المصر على الذنوب دهور؟![1]

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (ص٢١٤).





فصل في: أحوال الناس في يوم القيامة

مسألة ١١/٧١: الناس إما مسلمون، أو كفار:

أولًا: حال الكفار في ذلك اليوم، ولن أطيل وأفصِّل في هذا الصنف؛ لأن الكلام هنا عن فقه انتقال المسلم لا الكفار لكن إكمالا للحديث سأعرض حال الكفار دون تفصيل، ولا تقصير.

ثانيًا: حال المسلمين في ذلك اليوم، وهم محور حديثنا، **وسنقسمهم إلى قسمين:**

القسم الأول: حال عصاة الموحدين.

القسم الثاني: حال الأتقياء، والصالحين.

- **أولًا: حال الكفار.**

ويكمن الحديث عنهم في النقاط الآتية:

١/ يُخرجون وهم يدعون على أنفسهم بالويل، والثبور.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢].

٢/ هوانهم، وذلهم، وحسرتهم، وخزيهم في ذلك اليوم.

والنصوص في بيان هذا كثيرة.

قال الله -تعالى- **في ذلهم**: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

وفي حسرتهم: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٥-٥٩].

وفي خزيهم: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٧].

وكل ذلك من هوانهم على الله -تعالى- في ذلك اليوم، ومن شدة حسرتهم يتمنون أن يكونوا ترابا: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

بل من حسرتهم يتمنوا أن يروا الذين أضلوهم؛ ليطؤوهم بأقدامهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩].

ومن شِدَّة هولهم لذلك اليوم، وما فيه من العذاب، يتمنون لو قدَّموا أبناءهم، وأزواجهم، وإخوانهم، وعشيرتهم فداء لهذا اليوم؛ من أجل أن ينجوا، بل يتمنون أن يقدموا كل ما في الأرض جميعا من أجل أن ينجوا من العذاب، ولكنَّ هذا محال: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ [المعارج: ١١-١٤].

٣/ اسوداد الوجوه، وتغيرها.

قال الله -تعالى- في وصف وجوههم: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال في تغيرها: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٤]، أي: كالحة، كاسفة، عابسة، وقيل: أي: تغير لونها، والمعنى متقارب.

وقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٤٠-٤١-٤٢]، **والغبرة**: الغبار، والدخان، **والقترة**: السواد.

وحينما تدنو الشمس من الخلائق مقدار ميل، يختلف الناس في جريان العرق منهم على قدر أعمالهم: فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقويه -أي: إلى جنبيه-، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما، كما جاء في حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه عند مسلم، ولا شك أن الكافر له من هذا أوفر الحظ، والنصيب.

٤/ حبوط أعمالهم.

فما يقدِّمه الكافر من أعمال صالحة، كالصدقة، والعتق، وصلة الأرحام، والإنفاق، ونحوها من سبل الخير لا تُغني عنه شيئا، فالله -تعالى- شبهها بالسراب، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

وشبهها بالرماد، فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم ١٨].

وسيجعلها هباء منثورا، فقال: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وبيَّن أنهم بأعمالهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في خسارة لا يقام لهم وزن يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

٥/ فضيحتهم؛ وذلك بلعنهم على رؤوس الأشهاد، فلا يُستر عليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

٦/ تخاصم الكفار فيما بينهم في الموقف.

وهذا التخاصم جاء على عِدَّة أنواع، منها:

أ/ تخاصم الأتباع مع قادتهم، وسادتهم الضُّلَّال.

قال الله -تعالى- في بيان ذلك: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ [الصافات: ٢٧-٣٢].

ثم يتبرَّأ المتَّبعُون من أتباعهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، فإذا رأى الأتباع هذا ندموا، وتحسَّروا، وتمنَّوا أنهم لم يتبعوهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال في بيان ذلك أيضا: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].



وقال أيضا: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨].

ب/ تخاصم الكافر مع قرينه الشيطان الموكَّل به.

قال تعالى: ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٧-٢٨].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وقتادة وغيرهم -رحمهم الله-: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ هو الشيطان الذي وِكِّل به[1].

ج/ بل يتخاصم الكافر حتى مع أعضائه أشد المخاصمة، وذروتها.

وتأمَّل هذه الخصومة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصِّلت: ١٩-٢١].

وهذا المعنى فسَّره النَّبيُّ ﷺ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى**». قَالَ: «**فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا.**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير على هذه الآية.

فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَـهُنَا إِذًا»، قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ الله عَلَيْهِ»[(١)].

وهذا الحوار بين هذا العبد وجوارحه عجيب، أضحك النَّبيَّ ﷺ، ففي صحيح مسلم أيضا، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟» قَالَ: «يَقُولُ: بَلَى» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي» قَالَ: «فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا. وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا». قَالَ: «فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي». قَالَ: «فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ». قَالَ: «ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ» قَالَ: «فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»[(٢)].

٧/ يمقـتون أنفسـهم.

والمقت هو: أشد البغض، فتبلغ كراهيتهم لأنفسهم في ذلك اليوم مبلغًا عظيما، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٦٨). «أي فل»: أي فلان.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٦٩).

بل ويمقتون أنصارهم في الدنيا، ويدعون عليهم بمضاعفة العذاب: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦: ٦٨]، بل لشدة مقتهم لهم، يتمنون أن يتولوا ذلك، فيطؤوهم تحت أقدامهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩].

فلا يزال حنقهم، ومقتهم حتى يدخلوا النار، وترتفع أصواتهم، فيلعن بعضهم بعضا، ويتمنَّى بعضهم لبعض مزيدًا من العذاب: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨].

- **ثانيًا: حال المسلمين.**

وهو المقصود في هذه الوريقات، وكما تقدَّم سنقسمهم إلى قسمين:

الأول: حال عصاة الموحدين.

والثاني: حال الأتقياء، والصالحين.

*** القسم الأول: حال عصاة الموحدين.**

والمقصود بهم: المسلمون الذين اقترفوا ذنوبًا أوقعتهم في أهوال، ومصائب جاء ذكرها في النصوص، لكل نوع من المعاصي حال معينة يأتي عليها صاحبها، **ومنها ما يلي**:

١- الذين لا يؤتون الزكاة.

دلَّت النصوص على أن مانع الزكاة له حال، وعذاب معيَّن يوم القيامة، وأن عذابه على وجهين:

الأول: إن منع مالًا، فإنه يُمَثَّل لصاحب المال مالُه ثعبانًا أقرع، له زبيبتان، فيطوق عنقه، ويأخذ بلِهْزمتي صاحبه -أي: بشدقيه- فيقول: أنا مالك، أنا كنزك.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وهذا الطوق عبارة عن: ثعبان في رقابهم، كما فسَّرها النَّبيُّ ﷺ كما في صحيح البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ الله مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ؛ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** -يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ- **يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**» ثُمَّ تَلَا هَـذِهِ الْآيَةَ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[(١)].

والشجاع الأقرع: الحيَّة الذكر المتمعط الشعر رأسه؛ لكثرة سمِّه، **والزبيبتان**: نقطتان سوداوان فوق عيني الحية.

الثاني: إن منع مالًا من: ذهب، أو فِضة، أحميت يوم القيامة صفائح من نار؛ فعُذِّب بها، وإن كان المال حيوانًا: إبلًا، أو بقرًا، أو غنمًا، أُرسل على صاحبه يطؤه، ويُعَذَّب به.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٦٥).



قال الله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وفي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، فَالإِبِلُ؟ قَالَ: «**وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، فَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: «**وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»(١).

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٨٧).

(بِقَاعٍ قَرْقَرٍ): القاع: أصله المكان المنخفض الذي يستقر فيه الماء، والقرقر: المستوي الواسع من الأرض أيضًا.

(لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدا): الفصيل: هو: ولد الناقة حين يفصل عن أمه، والحوار إذا فطم سمي فصيلًا.

=

٢- ذنوب لا يكلِّم الله أصحابها يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم.

والمقصود: أن أصحاب هذه الذنوب لا يكلمهم الله ﷻ لقوله تعالى:﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾: وجمهور المفسرين على أنه لا يكلِّمهم كلاما ينفعهم، ويسرُّهم، ويرضى به عليهم، وهناك أقوال أخرى هذا أصحها -والله أعلم-؛ لأن الله ﷻ يكلِّم أهل النار وهم في النار، لكنه كلام ليس على سبيل الرِّضا، فيقول -تعالى-: ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾، ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾: أي: لا ينظر إليهم نظرا خاصا، بل يعرض عنهم فلا ينظر إليهم نظر رحمة، ولطف، وإنما النظر العام فإن الله -تعالى- ينظر إلى كل شيء سبحانه، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾: أي: لا يطهرهم من الدنس، ولا يثني عليهم خيرا، **وهم عِدَّة أصناف:**

الأول: الذين يكتمون ما أنزل الله -تعالى- من الكتاب.

فكتم علماء الأمة شيئًا من العلم إرضاءً لحكامهم، أو تحقيقًا لمصلحة شخصية، أو طلبًا لعرض من الدنيا، صار مشابهًا لأحبار ورهبان اليهود والنصارى في كتمهم، فكان جزاؤهم هذا الجزاء.

=

(لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ): والعقصاء هي: الملتوية القرن، والجلحاء: هي التي لا قرون لها، والعضباء: هي التي انكسر قرنها الداخل، وفي هذا بيان أنها ذات قرون لا عيب فيها؛ لتكون أنكى، وأقوى في الطعن والنطح.

وقيل: إن العضباء يكون قطعها في الأذن؛ ولذا ناقة النَّبيِّ ﷺ تسمَّى: (العضباء)، **وقيل**: الأعضب في القرن والأذن.

(وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا) الظلف يكون للبقر، والغنم، والظباء، وكل دابة مشقوقة القوائم، والخف للبعير، والحافر للفرس، والبغل، والحمار، والقدم للآدمي.

قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وفي سنن أبي داود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثم كَتَمَهُ؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»**[١].

الثاني: الذين ينقضون ما عاهدوا الله -تعالى- عليه، ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلا.

فيحلفون الأيمان الكاذبة؛ ليحققوا مكسبًا دنيويًّا، قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وعند البخاري، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أقامَ سِلعةً وهوَ في السُّوقِ، فحَلَفَ بالله لقد أعطى بها ما لم يُعطَ؛ ليُوقِعَ فيها رجُلًا منَ المسلمينَ، فنزَلَتْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾»[٢].

وجاء في صحيح مسلم ما يبين هذا الوعيد على من يروِّج سلعته بالحلف الكاذب؛ لأن الناس سيصدقونه، وستنفد السلعة حينئذ، فيستغل الحلف كذبا؛ لتنفيق سلعته، فعن أبي ذر رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»** قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»**[٣].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٥٨)، رواه الترمذي برقم (٢٦٤٩)، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٠٨٨).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٦).

بل جاء عند الطبراني، من حديث سلمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ما يدل على أن الإنسان يستحق هذا الوعيد وإن كان صادقًا، حينما يكثر من الحلف بالله -تعالى-، قال رسول ﷺ: **«ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ الله إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ الله بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ»**(١)، قال المنذري: رواته يُحتج بهم في الصحيح.

الثالث: المسبل إزاره.

الرابع: المنَّان.

الذي يسبل إزاره تحت الكعبين(٢)، وكذا الذي يعطي العطية فيمنُّ على الناس بها، يدخلان ضمن هذا الوعيد؛ لحديث أبي ذر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ الذي تقدم، وفيه: **«الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»**(٣).

الخامس: كبير السِّن إذا زنا.

السادس: الملك، والسلطان إذا كذبا.

السابع: الفقير إذا تكبَّر.

---

(١) رواه الطبراني (٦/ ٥٧).

(٢) وفي المسألة خلاف مشهور: هل الوعيد ينطبق على من يسبل إزاره مطلقًا أو أن المقصود فيمن يسبل إزاره مختالًا، وليس المقام مقام بسط للخلاف فيمن هو المسبل المتوعد عليه؟ والأظهر - والله أعلم- أن المسبل مطلقًا يدخل في الوعيد، فلا ينظر الله إليه يوم القيامة، وقد بسطت الخلاف في المسألة بأدلتها في إبهاج المسلم بشرح صحيح مسلم في كتاب الإيمان شرح الحديث رقم (٧٤).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٦).

وهؤلاء الثلاثة جاء وعيدهم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم، قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(١).

والسبب في اجتماع هؤلاء الثلاثة في هذا الوعيد: لأن كل واحد منهم فعل معصيته مع قِلَّة الدواعي إليها:

فالشيخ؛ وهو الكبير في السِّن قد بردت شهوته، وخفَّت إرادته، وهو مع ذلك يزني، فهذا غريب جدا في حقه؛ لضعف الدواعي لذلك.

والمِلك كذلك؛ وهو الإمام، فهو لا يخشى أحدا من رعيته، ولا يحتاج إلى أن يداهن أحدا، فالكذب منه غريب؛ لضعف الدواعي إليه.

والعائل؛ وهو الفقير على ماذا يتكبر؟! فإن غالب من يتكبر إنما يتكبر من أجل ما عنده من مال، أو جاه، أو ثروة في الدنيا، وهذا سبب ليس عند الفقير، فكان الاستكبار منه شيء غريب؛ لقلة الدواعي لذلك، فهو المحتاج، والناس ربما يكونون سببا في سد حاجته، فكيف يتكبَّر عليهم، ولا شيء لديه يتكبَّر من أجله؟(٢).

الثامن: من منع ابن السبيل الماء الفاضل بالصحراء.

التاسع: من بايع إمام المسلمين؛ لأجل أغراض دنيوية.

فلو أن شخصا منع ابن السبيل، وهو: المسافر، ومن على شاكلته، من ماء زائد على الحاجة، فإنه يدخل في هذا الوعيد، وكذلك من بايع إمام المسلمين من أجل

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠٧).

(٢) انظر: كلام القرطبي في المفهم (١/ ٣٠٥)، وانظر: كلام القاضي عياض في شرح مسلم للنووي (٣/ ٢٩٩).

الدنيا، إن أعطاه من هذه الدنيا، وأموالها كان وفيًّا معه، وإن لم يعطه لم يفِ له، أي: أنه لم يبايعه ديانة، ونصحًا له، وتأييدا للحق الذي معه من الكتاب والسُّنَّة، وإنما من أجل الدنيا، فإنه يدخل في هذا الوعيد.

ويدل على ذلك:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِالله لأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذٰلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**»(١).

٣- حال الأثرياء المنعَّمون.

فإن هؤلاء وإن كانوا منعَّمون في هذه الحياة الدنيا، مكثرون من الأموال، إلا أنَّهم يوم القيامة هم الأقلون الأخسرون خسارة عظيمة، حلف عليها النَّبي ﷺ، وليس هذا على إطلاقه، بل استثنى النَّبي ﷺ من كان منهم منفقًا ماله في سبل الخير، فإنه لا يدخل في هذه الخسارة، ففي الصحيحين من حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «**هُمُ الأَخْسَرُونَ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**» قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ، فَلَمْ أَتَقَارَّ أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمُ الأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هٰكَذَا، وَهٰكَذَا، وَهٰكَذَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ -وَقَلِيلٌ مَا هُمْ-، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٦٩)، رواه مسلم برقم (١٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٦٣٨)، رواه مسلم برقم (٩٩٠).

وفي رواية: «**إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ الله خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا**»(١). وفي هذا الحديث أعظم دلالة على أن المال حجة على صاحبه إن لم يعط منه في وجوه الخير.

٤- حال الغادر.

وهو الذي يواعد على أمر ولا يفي به، فإنَّه له حال يأتي بها يوم القيامة؛ حيث يرفع له لواء وهي الراية العظيمة يُعرف بها بوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان، فيا لها من فضيحة عظيمة!

ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا جَمَعَ الله الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَـذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»(٢). وهذه الراية تجعل عند مؤخرته يعرف بها.

ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

وتقدَّم أنَّه أعظم من هذا حينما تكون الغدرة من الحاكم والسلطان؛ لأن ضرره حينئذ يكون أعظم، فهو ضرر متعدٍ، ففي رواية عند مسلم: «**أَلَا، وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٤٣)، رواه مسلم برقم (٩٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٣١٨٦، ٣١٨٧)، رواه مسلم برقم (١٧٣٥).

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٣٨).

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٣٨).

٥- حال من غلَّ من الغنيمة.

قال الله -تعالى-: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، فهو يأت يوم القيامة على حال مفضوحة، معه ما غلَّه في الحياة الدنيا، والله المستعان.

قال القرطبي: «﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: يأتي به حاملًا له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد»(١).

٦- حال من غصب أرضًا.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»(٢).

٧- حال الحاكم الذي يحتجب عن رعيته وحاجتهم:

عن أبي مَرْيَمَ الأَزْدِيِّ قالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فقالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فُلَانٌ - وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ- فَقُلْتُ: حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ وَلَّاهُ الله عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ، وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ الله عَنْهُ - وفي رواية: يوم القيامة - دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ**»(٣).

٨- حال من كانت له زوجتان لم يعدل بينهما.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ**»(٤).

---

(١) انظر: تفسير الآية في تفسير القرطبي.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٤٥٤).

(٣) رواه أبو داود برقم (٢٩٤٨)، انظر: صحيح الجامع الصغير حديث (٦٤٧١).

(٤) رواه أحمد برقم (٨٥٦٨)، رواه أبو داود برقم (٢١٣٣)، رواه الترمذي برقم (١١٤١)، رواه النسائي برقم (٣٣٩٤)، رواه ابن ماجه برقم (١٩٦٩).



وعند الدارمي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ**»[١].

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من كانت له امرأتان...**»: قيل: المراد: سقوط شقه حقيقة، أو المراد سقوط حجته بالنسبة إلى إحدى امرأتيه التي مال عليها مع الأخرى، والظاهر: الحقيقة، تدل عليها رواية أبي داود «شقه مائل» والجزاء من جنس العمل، ولما لم يعدل، أو حاد عن الحق والجور والميل؛ كان عذابه أن يجيء يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأحد شقيه مـائل.أ.هـ[٢].

٩- حال من سأل الناس أموالهم من غير ضرورة، ولا حاجة؛ وإنما ليكثر ماله.

عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[٣]. أي: ليس في وجهه قطعة لحم.

١٠- حال من يكذب في الرؤيا.

١١- حال من يستمع إلى حديث قوم بغير حق وهم كارهون لسماعه.

١٢- حال المصورين.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ؛ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»[٤]، و«**الآنك**»: هو الرصاص المذاب، نسأل الله السَّلامة والعافية.

---

(١) رواه الدارمي برقم (٢٢٠٦).

(٢) انظر: عمدة القاري (٢٠/ ١٩٩).

(٣) رواه البخاري برقم (١٤٧٤)، رواه مسلم برقم (١٠٤٠).

(٤) رواه البخاري برقم (٧٠٤٢).

وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ»**(١). و«القرام»: بكسر القاف، هو: الستر الرقيق.

١٣- حال النائحة.

عن أبي مالك الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»**(٢).

والنياحة؛ هي: رفع الصوت بالبكاء على الميت، و«السربال»: هو الثوب، وقوله: «**مِنْ قَطِرَانٍ**»: هو النُّحاس المذاب.

وقوله: «**وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» الدرع كذلك هو: الثوب، والجرب: مرض جلدي، يكون في الإبل، ويكون في الإنسان.

١٤- حال من قذف مملوكه.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا؛ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»**(٣).

*** القسم الثاني: حال الأتقياء يوم القيامة:**

وهي حال هنيئة لمن كان من أهلها -نسأل الله من فضله- فقد جاءت النصوص مبينة حالهم في ذلك اليوم العظيم، ونذكر من أحوالهم، **وصفاتهم ما يلي:**

---

(١) رواه البخاري برقم (٦١٩٠)، رواه مسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٩٣٤).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٨٥٨)، رواه مسلم برقم (١٦٦٠).

١ - أنهم لا يخافون، ولا يحزنون، ولا يفزعون إذا فزع النَّاس يوم الفزع الأكبر.

قال الله -تعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

ولأنهم يخافون هذا اليوم (يوم القيامة) واستعدوا له؛ نالوا هذه الفضائل، والبشائر العظيمة -نسأل الله من فضله- فقد كان حالهم في الدنيا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، فجزاهم الله -تعالى- حالًا في الآخرة تناسبهم؛ بأن وقاهم شرَّ ذلك اليوم وفزعه، فقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الأنسان: ١١-١٢].

ولا شك أن كلمة التوحيد، والعمل بمقتضاها؛ هي رأس أسباب هذا الأمن، قال الله -تعالى-: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٢- وجوههم بيضاء مستنيرة.

قال الله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، ومسفرة: قيل: مشرقة، وقيل: مضيئة، وقيل: مستنيرة، وكلها معانٍ متقاربة.

٣- أصناف يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ففي ذلك اليوم الذي ليس للناس ما يستظلون به من حرِّ الشمس، حينما تدنو من الخلائق مقدار ميل، وهم في كرب شديد، ويوم طويل قدره، قال الله -تعالى- عنه: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤].

ينعم أصناف من الناس بظل الله -تعالى- يوم لا ظل إلا ظله -سبحانه- فيا لها من سعادة عظيمة، وغنيمة كبيرة.

وهؤلاء الأصناف جاؤوا في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ، مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

وفي رواية البخاري: «**حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»(٢).

وفي رواية لمسلم: «**وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ، حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهِ**»(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله -تعالى- يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦٠)، رواه مسلم برقم (١٠٣١).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٦٠).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٣١).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٥٦٦).

ومن الذين يظلهم الله -تعالى- أيضًا من أنظر معسرًا، أو وضع عنه؛ ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي الْيَسَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ الله فِي ظِلِّهِ**»(١).

وأما قارئ البقرة، وآل عمران؛ فإنهما تأتيان عليه يوم القيامة كأنهما غمامتان تدافعان عنه.

فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(٢). قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ. قال أهل اللغة: الغمامة، والغياية؛ كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة ونحوها، وقوله ﷺ: «**أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ**». الفرقان بكسر الفاء، وإسكان الراء، وهما قطيعان، وجماعتان، يقال في الواحد: فرق.

٤- حال الذين يسعون في حاجة النَّاس، ويُنَفِّسُون عن كربهم.

٥- حال الذين يسترون على النَّاس في الدنيا.

الناس تمر عليهم كربات، ومصاعب في هذه الحياة الدنيا، والإسلام حفظ روح التواد، والتعاون بين المسلمين؛ فجازى من نفَّس عن أخيه كربة في الدنيا، أن ينفِّس

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٨٠٤).

عنه كربة من كرب يوم القيامة، ويا لها من جائزة عظيمة، وكذا الذي يستر عورات المسلمين، فإنه بحاجة إلى من يستره في ذلك اليوم، فالجزاء من جنس العمل؛ ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[١].

٦- حال الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما تولوه.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَـنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[٢].

٧- حال الشهـداء.

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الله -وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**»[٣].

ومعنى «**لا يُكْلَمُ**»: أي لا يُجرح، قال ابن حجر: «قال العلماء: الحكمة من بعثه كذلك أن يكون معه شاهد بفضيلته ببذله نفسه في طاعة الله تعالى».

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٢٧).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٦٥)، رواه مسلم برقم (١٢٠٦).



٨- حال الكاظمين الغيظ.

روى أبو داود، والترمذي من حديث مُعَاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ؛ دَعَاهُ الله عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**»(١).

وأثنى الله -تعالى- على الكاظمين الغيظ بقوله: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

٩- حال المؤذنـين.

ففي صحيح مسلم عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

بل كل شيء سمع صوت المؤذن يشهد له يوم القيامة، ففي صحيح البخاري: عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، أنه أخبره أن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدريِّ رضي الله عنه قال له: «**إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ(٣).

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٧٧٧)، رواه الترمذي برقم (٢٠٢١)، وحسن إسناد الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٩٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٣٨٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٠٩).



١٠ - حال المتوضئين.

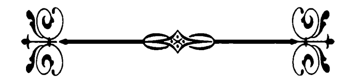
عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[١].

قوله: (**غُرًّا**): الغرة: بياض في جبهة الفرس، والمعنى: أن أمة محمد ﷺ يأتون يوم القيامة، ووجوههم تلمع بياضًا، ونورًا من آثار الوضوء.

(**مُحَجَّلِينَ**): التحجيل: هو بياض في قوائم الفرس كلها، وقيل: في ثلاثة منها: اليدين، ورجل واحدة.

والمعنى: أن هذه الأمة أيضًا في أيديهم وأرجلهم بياضٌ، ونورٌ من آثار الوضوء، وبهذا تكون جميع أعضاء الوضوء دخلت في الغرة، والتحجيل، والرأس داخل في مُسمَّى الغرة.

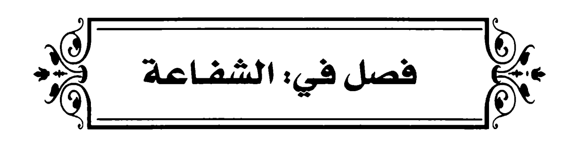
فطوبى لمن جاء ذلك اليوم، والبياض والنور في وجهه، ويديه، وقدميه -نسأل الله من فضله-، فهذه هي الحال التي يأتي عليها المتوضؤون، وهي مزية لأمة محمد ﷺ دون غيرهم، ففي رواية عند مسلم قال النَّبي ﷺ: «**لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ؛ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»[٢] أي: لكم سمة، ومزية ليست لأحد من الأمم.



(١) رواه البخاري برقم (١٣٦)، رواه مسلم برقم (٢٤٦).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٧).





فصل في: الشفاعة

مسألة ١٢/٧٢: معنى الشفاعة؟

الشفاعة لغة: من الشفع ضد الوتر، وهو ضم الشيء إلى مثيله.

واصطلاحًا: التوسط للغير، بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

مسألة ١٢/٧٣: ربط الترتيب الزمني بين موقف الحشر والشفاعة لأهل الموقف.

وبعد بيان أهوال يوم القيامة، وأحوال الناس في ذلك اليوم، نرجع إلى ما توقفنا عنده سابقا؛ وهو: (**أرض المحشر**)، وتقدَّم أن الشمس تدنو من الخلائق مقدار ميل، ويبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيطلبون حينئذ من يشفع لهم، ويخفف عنهم ما هم فيه، فيطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله -تعالى- ليأتي لفصل الحساب، ويخلصهم من كربات يوم القيامة وأهواله.

ففي حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عند مسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَجْمَعُ الله النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ لِذلِكَ** -وفي رواية: **فَيُلْهَمُونَ لِذلِكَ**- **فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ...**»[1] الحديث، وسيأتي.

فيبدأ الناس بالبحث، والطلب، والتحول على الأنبياء واحدًا، واحدا وكل واحد يثنون عليه بما له من الفضائل عند الله -تعالى- والمزايا التي اختص بها، وكأنهم يقولون: إن هذه المزايا والخصائص تعني قربك من الله -تعالى-، فاشفع لنا عند الله -تعالى- بتخليصنا من هذه الكرب، ولك أن تتصور هذه الكرب، والهول،

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٣).

كل منشغل بنفسه، لا يريد أحدًا يقترب منه، أو يطلب منه شيئا، وليس مبالٍ بأحد حتى أقرب الناس إليه، فهو يريد لنفسه الخلاص.

تصور حال الناس وأنت معهم، والعرق يصب صبًّا، يتفاوتون بحسب أعمالهم، همٌّ وغمٌّ وكربٌّ، يبحثون عن هذه النجاة، ويتجولون يبحثون عن الوساطة، والشفاعة.

أتركك مع تصوير النَّبي ﷺ للموقف:

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ -وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ؛ نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ الله عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي؛ نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ الله وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ**

إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كذبَاتِهِ؛ نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ الله، فَضَّلَكَ الله بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا؛ نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَىٰ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ الله، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ. فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، منَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ، فِيمَا سِوَى ذَٰلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

فهذا الحديث يفيدنا بفائدتين: إحداهما: هي محور حديثنا، والأخرى: ستأتي في (فصل الحساب).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٧١٢)، رواه مسلم برقم (١٩٤).

وهي: أن هناك من لا يحاسبون وإنما يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، وسيدخلون من الباب الأيمن من أبواب الجنة مباشرة، فيختصرون ما سيأتي من أحداث يوم القيامة، فلا تمر عليهم؛ لأنهم سيذهبون إلى الجنة، فيا لها من سعادة وفضل عظيم، وسيأتي الحديث عنهم، نسأل الله من فضله.

وأما التي هي محور حديثنا؛ فهي شفاعة النَّبي ﷺ في أهل ذلك الموقف العظيم، الذين بلغ بهم الهمُّ والكرب ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيشفع لهم النَّبي ﷺ بعدما ينتهون إليه، فيأتي بعدها الجبار -جلَّ جلاه- للقضاء، فيفصل بين العباد والحساب.

والذي يهمنا في هذا الفصل أن هذه هي أولى الشفاعات للنَّبي ﷺ، وهي الشفاعة لأهل الموقف بتخليصهم من الكربات، ومجيء الله -تعالى- للفصل بين العباد والحساب.

۞ مسألة ٧٤/١٢: إشكال، وتوضيح، وبيان (١):

في تلك العرصات، وعند بلوغ الهم والكرب في أرض المحشر، هل يشرب الناس من حوض النَّبي ﷺ؟

هذه مسألة خلافية، والكلام عن الحوض بالتفصيل سيأتي، ولكني قدمت هذه المسألة على وجه الخصوص؛ لأن هذا المكان هو الذي يناسبها من حيث الترتيب الزَّمني، **والإشكال في هذه المسألة في موضع الحوض أين يكون؟**

جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن النَّبي ﷺ قال: **«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»**[١].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٨٣)، رواه مسلم برقم (٢٢٩٠).



وحديث جندب رضي الله عنه، قال النَّبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»[١].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وسيأتي إيراد شيء منها لاحقا، بإذن الله تعالى.

وللجواب عن هذه المسألة يقال:

أولًا: لا خلاف في أن الجنة فيها حوض يقال له: (**الكوثر**)، كما سيأتي بالأدلة.

ثانيًا: لا خلاف في أن قبل الجنة حوض آخر، يشرب منه المسلمون.

ثالثًا: الخلاف في موضع الحوض الذي قبل الجنة؛ لعدم وجود النص القاطع في موضعه.

فاختلفوا على قولين:

القول الأول: قبل الصراط عند الحساب على أرض المحشر حين يبلغ الناس من الكرب، والهم، والعطش ما لا يحتملون، واختاره القرطبي، وابن كثير رحمهم الله[٢].

والقول الثاني: بعد الصراط قبل الدخول إلى الجنة، واختاره البخاري في تبويبه، ومال إليه ابن حجر في شرحه فتح الباري[٣] رحمهما الله.

ولتعلم أن اختيارهم -رحمهم الله تعالى- مبني على فهم النصوص، لا على التوقع، وما يستوحيه العقل -معاذ الله أن نظن بهم ذلك- **فما هو تعليلهم في ترجيحاتهم، رحمهم الله تعالى؟**

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٨٩)، رواه مسلم برقم (٢٢٨٩). والفرط: هو الذي يسبق إلى الحوض.

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (ص٣٦٢)، وانظر: النهاية لابن كثير (٢/ ٣).

(٣) انظر: فتح الباري (١١ / ٤٦٦).

أصحاب القول الأول اختاروا: أنه قبل الصراط والحساب؛ لأمرين:

أولهما: الحكمة من وجود الحوض ما أشار إليه نبينا ﷺ: «**وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا**»، والنَّاس يخرجون من قبورهم عطشى، لاسيما عندما يحشرون في الموقف: حفاة، عراة، غرلًا، ودنت منهم الشمس، وبلغ بهم الهمُّ والغمُّ والعرق مبلغه، فالحوض هو الذي يحتاجونه والحالة هذه، فيكرمهم الله -تعالى- بأن يشربوا من حوض نبيه ﷺ، وهو سابقنا إلى حوضه ﷺ ونسأل الله -تعالى- من فضله، فمن كان مؤمنًا موحدًا سقاه النَّبي ﷺ وشرب، وإذا شرب لم يظمأ أبدًا، طال الموقف، أو قصر فإنه لا يبالي بذلك.

ويا سعادة من سقاه الطاهر المطهر ﷺ، فشرب من حوضه شربة أبعدت عنه ظمأ ذلك الموقف الطويل المهول، بل أبعدت كل ظمأ حتى يدخل دار قراره...نسأل الله -تعالى- من واسع فضله.

ثانيهما: في الحديث إشارة إلى أن هناك أقوام يُذادون عن الحوض، ويُمنعون بسبب أنَّهم أحدثوا في الدين، وبدَّلوا فلم يكونوا على سنة محمد ﷺ، ويدخل فيهم المنافقون فإنهم يردون عن الحوض، ولو قيل: إن الحوض بعد الصراط؛ لتعارض مع كون ممن يُردُّ عن الحوض المنافقون؛ لأن ما بعد الصراط القنطرة، ثم الجنة، ولا يمكن أن يتجاوز الصراط إلا مؤمن، وأما المنافقون والكفار فيتساقطون في نار جهنم، وهذا يلزم منه أن نقول: إن الحوض قبل الصراط، حتى يصح إدخال المنافقين ممن يُردُّ عن الحوض.

وعلل أصحاب القول الثاني اختيارهم بأنه بعد الصراط؛ لأمور أيضًا، أقواها قولهم: أنه ثبت في الحديث أن مَنْ شرب مِنَ الحوض لم يظمأ بعده أبدًا.

قالوا: فإذا قلنا: إنه قبل الصراط فسنقع في إشكال، وهو: أن ممن يعبر الصراط عصاة الموحدين، ولاشك أن هناك من عصاة الموحدين من سيدخل النار؛ لما سيأتي من أدلة الشفاعة أن النَّبي ﷺ سيشفع في عصاة الموحدين أن يخرجوا من النار، والذي يهمنا أن هناك من المسلمين من سيدخل النار، ولو قُدِّر أن هؤلاء العصاة شربوا من الحوض قبل الصراط، فكيف نجمع بين كونهم لن يظمؤوا أبدا، وبين عطشهم في نار جهنم الذي يقتضيه من يُعذَّب في النار؟

فلكي نخرج من هذا الإشكال، لابد أن نقول: بأن الحوض بعد الصراط.

فرحمة الله -تعالى- عليهم سلمت قلوبهم، فتنورت بالعلم، والنباهة لمواطن الاستدلال، فلكل واحد من القولين حجته **والقول الأول (أقوى)**، والله أعلم.

ويمكن مناقشة تعليل القول الثاني بمناقشات ذكرها أهل العلم، **أقواها**: أنه لا يمنع أن يُعذَّب عصاة الموحدين في النار بأصناف من العذاب غير العطش؛ كرامةً لتوحيدهم، وتفريقًا بينهم، وبين المنافقين والكفار.

وأيضًا يقال لهم: **كيف نجمع بين أن يكون بعد الصراط، وبين أن هناك من بدَّل في دين الله -تعالى- فَحُرِمَ ورود الحوض؟**

فهذا لا يتناسب مع أقوام تجاوزوا الصِّراط، وسيقبلون على نعيم الجنَّة التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، فجعل الحوض قبل الصراط لهذا التعليل أوجه.

واختار شيخنا ابن عثيمين -رحمة الله تعالى عليه- أن الحوض يتكرر في الموضعين فقال: «**وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، وقد سبق أنه يكون في عرصات القيامة، ولكن قد ورد في الحديث أنهم يشربون بعد الصِّراط، أي: بعد أن يعبروا على الصراط، وليس في ذلك تعارض؛ لأنه قد ثبت أن من شرب منهم شربة واحدة لن



يظمأ بعدها أبدًا، فيكون شربهم بعد الصراط إما لظمأ يسير ليس فيه مشقة؛ لأنهم عبروا النار وهي حارة، أو أنهم يشربون منه تلذذًا لا عطشًا، وعلى ذلك فيكون في عرصات القيامة، وكذلك بعد العبور على الصراط، لكن الأهم هو الذي يكون في عرصات القيامة؛ لأن الناس ينالهم عطش، وشدة عظيمة حيث تدنو الشمس منهم مقدار ميل، فيعطشون ويحتاجون إلى الشرب من هذا الحوض.

فإياك إياك أن تحرم الورود على هذا الحوض، وقد وعد النَّبي ﷺ الأنصار الحوض إذا صبروا على جور السلطان، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**» أي: استئثارا عليكم، «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي وَمَوْعِدُكُمُ الْحَوْضُ**».

لذلك يرجى لمن صبر على السلطان، وعلى جوره أن ينال مثل هذا الوعد من النَّبي ﷺ؛ لأن هناك قاعدة تقول: إن الأحكام الشرعية، والجزائية لا تتعلق بالشخص بعينه، ولكن بوصفه وعمله، والعمل وصف، فليس هناك حكم شرعي، أو جزائي معلق بشخص بعينه، ولكن بوصفه بعمله، وهذا هو مقتضى عدل الله ﷻ؛ لأن الله ليس بينه وبين أحد محاباة حتى نقول: يمكن أن يحابي أحدًا لشخصه، فالإنسان قد يحابي شخصًا معينًا في حكم يختص به لشخصه، لقرابته أو لصداقته، لكن الرب ﷻ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، لا يعطي أحدًا حكمًا خاصًّا لشخصه أبدا» أ.هـ[١].

---

(١) انظر: شرحه للعقيدة السفارينية - الباب الرابع - البيت رقم (١١٧).



۞ **مسألة ١٢/٧٥: إشكال، وتوضيح، وبيان (٢).**

حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي تقدَّم وفيه بيان حال أهل الموقف، وطلبهم للشفاعة، جاء بروايات كثيرة وأحاديث مماثلة، وقد تكون الشفاعات في الحديث متداخلة من حيث الظاهر، فمثلًا جاء هذا الحديث في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أيضًا، وفيه من الزيادات: «**ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رأْسكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى، أَدْنَى، أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ**».

وفيه: «**ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ وَلَكِنْ، وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

وفيه: **وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ**: «**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ**»[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٥١٠)، رواه مسلم برقم (١٩٣).

وعند البخاري معلقا: «ثم تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: **وهذا المقامُ المحمودُ الذي وُعِدَهُ نبيكم ﷺ**»[١].

وفي حديث أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنهما: «**فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ...**»[٢].

وللبخاري من حديث ابن عمرَ رضي الله عنهما: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**»[٣].

وعند مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»[٤].

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٥].

ولمسلم في رواية: «**فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[٦]. وبنحو هذا الحديث في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه[٧]، ولمسلم بنحوه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[٨].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٤٠).

(٢) رواه مسلم برقم (١٩٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧١٨).

(٤) رواه مسلم برقم (١٩٦).

(٥) رواه البخاري برقم (٦٣٠٤)، رواه مسلم برقم (١٩٨).

(٦) رواه مسلم برقم (١٩٩).

(٧) رواه البخاري برقم (٦٣٠٥)، رواه مسلم برقم (٢٠٠).

(٨) رواه مسلم برقم (٢٠١).

إذا تأملت هذه الروايات وغيرها مما لم أذكره، وجدت أن الشَّفاعة في أول الحديث تكون لأهل الموقف، وما بلغهم من الهم والغم، فيشفع لهم النَّبي ﷺ لأجل تخليصهم من الكربات، ولأجل مجيء القضاء والحساب، ثم في آخر هذه الأحاديث تكون شفاعة في دخول أهل الجنة الجنة، وكذا شفاعة في تخليص الموحدين وإخراجهم من النار إلى الجنة.

ولاشك أن هذه الشفاعات في ترتيبها الزمني غير مراد هنا، فالشفاعة لأهل الموقف متقدمة جدًّا، وبقية الشفاعات متأخرة، **فما الجواب عن إشكال ورودها في حديث واحد؟**

أجاب العلماء بعدة أجوبة، **أحسنها جوابان:**

الأول: أن هذا تصرف من الرواة والسلف -رحمهم الله- في جمع الأحاديث تحت موطن واحد؛ لأن مقصودهم من ذلك الرد على الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة؛ الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها.

واختار هذا الجمع شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال: «والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب -سبحانه وتعالى- لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن النَّاس إنَّما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة، وإخراجهم من النار، وكان مقصود السلف -في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث- هو الرد على الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة، الذين

أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم»ا.هـ[١].

الثاني: هناك روايات تدل على أن الله -تعالى- إذا أراد أن يشفع لأهل الموقف، أمر أن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، وهذا هو أول فصل القضاء، والإراحة من كرب الموقف ويكون معه الحساب، ثم بعد ذلك تأتي الروايات التي في الأحاديث السابقة التي فيها الشَّفاعة، بعد وضع الصراط والمرور عليه، والشَّفاعة بدخول الجنَّة، والشَّفاعة بخروج الموحدين من النَّار، وهذا راجع لاختلاف الرواة في حفظهم لروايات الحديث، فبعضهم حفظ ما لم يحفظ الآخر.

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هٰذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي صُورَةٍ غيرِ صورتِهِ التي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هٰذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ -تعالى- فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ...**» الحديث؛ وفيه: «**حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ -تعالى- أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ...**»[٢]، وبه تجتمع الأدلة ويتضح الإشكال، واختار هذا الجمع القاضي عياض

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص ٢٥٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٧٣)، رواه مسلم برقم (١٨٢).

والنووي، وابن حجر -رحمة الله تعالى عليهم-[١] وهذا الجمع أوفق، وأظهر من الذي قبله، والله أعلم.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال عياض: فبهذا يتصل الكلام؛ لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها: هي الإِراحة من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإِخراج، وقد وقع في حديث أبي هريرة -يعني: الآتي في الباب الذي يليه بعد ذكر الجمع في الموقف- الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، قال: وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها، قلت: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر»[٢].

وأستميحك عذرًا..أخي القارئ أن أقطع الترتيب الزمني هنا؛ لأعرض مباحث في الشفاعة وأنواعها، فإن هناك شفاعات متأخرة ليس هذا هو موضعها، ولكن لأجل جمع مسائل الشفاعة تحت هذا الفصل؛ لتتوحد أدلتها، ولحصر المسائل في موضع واحد، ثم بعد ذلك نرجع لما توقفنا عنده، وهو مجيء الله -تعالى- للفصل بين العباد، والكلام عن الحساب.

۞ مسألة ١٢/٧٦: الشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعة شرعية (شفاعة مثبتة).

وهي الشفاعة المقبولة، ويدخل تحتها أنواع سيأتي بيانها.

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المرجع السابق.



وهذه الشفاعة لا بد فيها من توفر شرطين:

الأول: الإذن للشافع أن يشفع، والرضا عنه. **والثاني**: الرضا عن المشفوع له.

ويدل عليهما: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

النوع الثاني: شفاعة شركية (شفاعة منفية).

وهي الشفاعة للكافرين، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة، قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨].

۞ مسألة ٧٧/١٢: أنواع الشَّفاعة الشَّرعية:

١/ الشَّفاعة العظمى.

وهي أول شفاعة، وهي التي تقدَّم ذكرها، تكون بعد البعث والحشر، ووقوف الناس في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وتقدم الكلام عليها بأدلتها.

٢/ شفاعته ﷺ بدخول أهل الجنة الجنة.

دلَّ عليها: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النَّبي ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»**[1]، وفي رواية: **«فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»**[2].

(١) رواه مسلم برقم (١٩٦).

(٢) رواه مسلم برقم (١٩٧).



٣/ شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب بأن يخفف عنه العذاب.

وذلك لأن أبا طالب مات كافرًا، فلا يخرج من النار، ولكن بشفاعة النَّبي ﷺ يخفف عنه من العذاب.

ويدل على ذلك: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[١] وفي رواية: «**وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[٢].

وهذا الأنواع الثلاثة السابقة خاصة بنبينا ﷺ.

٤/ الشفاعة في خروج الموحدين من النار.

دلَّ عليها حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النَّبي قال ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»[٣].

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا**»[٤].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٨٥)، رواه مسلم برقم (٢١٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٨٨٣)، رواه مسلم برقم (٢٠٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٤).

(٤) رواه مسلم برقم (١٩٩).

وحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(١)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

والخوارج والمعتزلة ينكرون هذا النوع من الشفاعة؛ لأن مذهبهم أن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان، فالسارق والزَّاني وغيرهما من أهل الكبائر عندهم خرجوا من الإيمان، فلا تنفعهم الشفاعة، وقولهم قول باطل، مردود بالأدلة الكثيرة التي تخالف معتقدهم، ومن هذه الأدلة ما تقدَّم ذكره.

٥/ الشَّفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها.

وهذه من أنواع الشفاعة التي يذكرها أهل العلم، وقد يستدل لها بحديث ابن عباس رضي الله عنه قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئًا؛ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**»(٢).

٦/ الشَّفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

وهذه قد تكون بفضل ما جعله الله من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، كما في حديث أم سلمة ودعاء النَّبي ﷺ لأبي سلمة حين توفي فقال ﷺ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٣).

وهذه الأنواع الثلاثة ليست خاصة بالنبي ﷺ، بل لسائر الأنبياء، والصديقين، والمؤمنين.

---

(١) رواه أحمد برقم (١٣٢٢٢)، رواه أبو داود برقم (٤٧٣٩).

(٢) رواه مسلم برقم (٩٤٨).

(٣) رواه مسلم برقم (٩٢٠).



٧/ شفاعة النَّبي ﷺ في قوم من أمته يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب.

كشفاعة النَّبي ﷺ لعكاشة بن محصن رضي الله عنه أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين(١).

ومن أهل العلم من يزيد نوعًا ثامنًا؛ وهي: **الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أهل الأعراف.**

ومن الشفاعة ما تكون من الأنبياء، والمؤمنين، والشهداء، والصالحين، والملائكة على قدر مراتبهم، ومقاماتهم عند ربهم، فالشهيد مثلًا يشفع في سبعين من أهل بيته، كما ورد عند أبي داود وابن حبان(٢).

۞ مسألة ٧٨/١٢: من الأعمال التي ينال بها المسلم الشفاعة: ما يلي:

١/ قول: «لا إله إلا الله» خالصة من القلب.

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»**(٣).

٢/ قول الذكر الوارد بعد الأذان.

وهو ما جاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا**

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥)، رواه مسلم برقم (٢١٦).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٥٢٢)، رواه ابن حبان (١٠/ ٥١٧).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٧٠).

الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٣/ الصبر على شدة المدينة ولأوائها.

لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال **«لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا»**(٢)، والمقصود بـ **(لأوائها)** أي: شدتها، وضيق العيش فيها.

٤/ الموت في المدينة.

لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»**(٣).

* **فائدة**: هناك من الأعمال ما تمنع العبد أن يكون شفيعًا لأحد يوم القيامة، ومن ذلك: من يكثر اللعن؛ فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ ﷺ قال: **«لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(٤) قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله ﷺ: **«إنهم لا يكونون شفعاء ولا شهداء»** فمعناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦١٤).

(٢) رواه مسلم برقم (١٣٧٨).

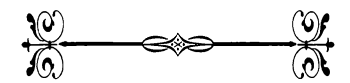
(٣) رواه أحمد برقم (٥٤٣٧)، رواه الترمذي برقم (٩٣١٧)، رواه ابن ماجه برقم (٣١١٢) وصححه الألباني.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي المجلد (١٦) كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها.



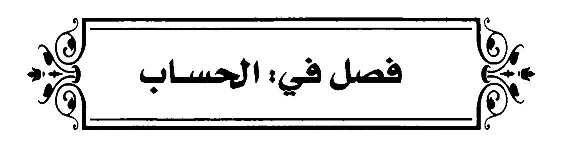
«**ولا شهداء**» فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله»[١].

عرفت أخي القارئ مما سبق ما يختص بالشفاعة في ذلك الموقف العظيم، الذي يستشفع الناس بالنبيُّون -عليهم الصلاة والسلام- ثم ينتهون إلى محمد ﷺ فيشفع لهم؛ فبعد هذه الفترة ينتظر الناس الحساب، ويأتي الله -تعالى- لفصل القضاء والحساب، فيا رب رحماك، رحماك.



(١) رواه مسلم برقم (٢٥٩٨).





فصل في: الحساب

مسألة ٧٩/١٣: مشهد إتيان الله -تعالى- للقضاء، والحساب، والعرض عليه.

يا له من موقف عظيم، فبعد عتق النَّاس من الهمِّ والكرب، وبعد أن شفع لهم النَّبي ﷺ بـيَّن الله -تعالى- لنا موقف مشهد الحساب، ومن سيحضره، فتأمل من سيحضره؛ قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩]، ويقول: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

والله أعلم بطريقة هذا المجيء، نؤمن به على الوجه الأكمل، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وتشرق الأرض بمجيئه، وتجيء الملائكة بكتب الأعمال التي فيها الأقوال، والأفعال، والتصرفات؛ ليكون حجة عليهم، فيا له من موقف عظيم مُلئ إجلالًا، وهيبة، وهم يعرضون صفًّا: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢]، فتصور موقفك، وأنت تنتظر نتيجة عملك، مع علمك أن هذا الكتاب فيه كل صغيرة، وكبيرة، فرحماك إلهانا...ما أغفلنا: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

أضف إلى هذا: أن النبيِّين -عليهم الصلاة والسلام- أيضا يشهدون هذا الموقف، ويُسألون عن الأمانة التي حمَّلهم الله إياها -وسيأتي بيان ذلك-، ويعرض العبادَ اللهُ -تعالى- للحساب صفوفًا أيضًا: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨].

ومن هول الموقف تجثو الأمم على الركب، عندما يُدعى النَّاس للحساب؛ لعظم ما يشاهدون، فيا لها من لحظة عصيبة...وموقف مهول: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

أطلق لفكرك العنان...وتصور أبعاد هذا الموقف المهيب...وحالي وحالك فيه -رحماك ربنا-، إنَّه موقـف (الحسـاب).

۞ مسألة ١٣/ ٨٠: فما هو الحساب، وأدلة ثبوته؟

لغة: هو العدد.

وشرعًا: إطلاع الله -تعالى- عباده على أعمالهم.

- **الحساب ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع.**

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

ومن السُّنة: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتفق عليه، قال النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قَالَ: «**ذَاكَ الْعَرْضُ، يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ**»(١).

والمقصود أن العبد إذا حوسب حسابًا دقيقًا على أعماله التي لا بد لها من قبول من الله -جلَّ وعلا- هلك؛ لأن أعماله لا تنجيه إلا برحمة الله -جل وعلا-، ونسأل الله من واسع فضله.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة، ويستثنى من ذلك السبعون ألفًا؛ كما سيأتي.

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٣٩)، رواه مسلم برقم (٢٨٧٦).

مسألة ٨١/١٣: وهل يحاسب الكفار؟

هذه المسألة من المسائل الخلافية.

قيل: إنهم لا يحاسبون؛ لأن أعمالهم باطلة حابطة؛ فلا فائدة من حسابهم وسؤالهم.

وقيل: إنهم محاسبون، وذلك لعدة حِكَمٍ -سيأتي بيانها-، وأعمالهم موزونة؛ لأجل تقرير أعمالهم، وبيان عدل الله -تعالى- فيها لا لأجل مكافئتهم بالحسنات؛ لأنها لن تقبل -كما تقدم بيانه- بل ستذهب سدى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٥].

والحِكمة من حسابهم، عدة أمور:

الأمر الأول: إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله -تعالى- فيهم.

الأمر الثاني: توبيخهم، وتقريعهم.

الأمر الثالث: لأنهم مكلفون بأصول الشريعة، قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٧].

والكفار يتفاوتون في كفرهم، وذنوبهم وحينئذ سيتفاوتون في دركات النار؛ ولذا قال الله -تعالى- عن المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].



سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «عَنِ الْكُفَّار: **هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟**

فَأَجَابَ: هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم، وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قَلَّتْ سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابًا من أبي لَهَب.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، والنار دَرَكَات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابًا من بعض؛ لكثرة سيئاته، وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة»[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥).



مسألة ٨٢/١٣: وهل الجن يحاسبون؟

لأنهم مكلفون، يدخل كافرهم النار بالنَّص، والإجماع، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ويدخل مؤمنهم الجنة، وهو قول جمهور العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]، ولعموم قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

مسألة ٨٣/١٣: وهل البهائم تحاسب؟

تقدم في مباحث (الحشر) أنه يكون بين البهائم قصاص فيقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وتقدَّم، أن هذا القصاص ليس قصاص تكليف، وإنما هو قصاص مقابلة، وأما حساب التكليف فلا تحاسب؛ لأنه لا تكليف عليها، وتقدم أن هذا اختيار النووي، وهو اختيار شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

مسألة ٨٤/١٣: كل إنسان له لقاء مع الله -تعالى- بمفرده ليس بينهما أحد.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ الله، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[٢]، والترجمان: المترجم؛ وهو المفسر للكلام، الموضح له عن لسان بلسان آخر، ففي الحديث بيان لقاء العبد بربه -تعالى- **وأي لقاء هذا أيها المبارك؟!** إنه لقاء مع من بيده ملكوت كل شيء، **وهذا اللقاء يتميز بما يلي:**

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخنا (ص٥١٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٥٩٥)، رواه مسلم برقم (١٠١٦).



١- أن الله ﷻ سيكلمه.

٢- أنه سينفرد بربه ليس بينهما أي أحد، لا يحتاج إلى أي مترجم يترجم بينه وبين الله جلَّ وعلا.

٣- ليس هناك حجاب يحجبه عن الله جلَّ وعلا.

٤- أنه في ذلك الموقف سيرى ما قدَّم محيطًا به عن يمينه، وشماله.

- واختلف في سبب التفاته يمينا، وشمالا:

فقيل: إن حاله كالإنسان الذي داهمه أمر، فيلتفت يمينًا وشمالًا، يطلب فيه العون.

وقيل: إن سبب الالتفات رجاء أن يجد طريقًا يذهب فيها؛ ليحصل النجاة من النار، فلا يرى إلا ما يفضي إلى النار؛ لأنه جاء في رواية البخاري: «**فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ**»(١).

٥- أن النار في ذلك الموقف قريبة منه تلقاء وجهه؛ لقول النَّبي ﷺ: «**وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ**» فيا له من موقف عظيم -نسأل الله فيه النجاة والسلامة-، وفيه دليل على قرب النار من أهل الموقف.

۞ مسألة ١٣/٨٥: الأمور التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة.

العبد يوم القيامة يُسأل عن كل شيء فعله في الدنيا، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، ولكن هناك بعض الأعمال نصَّ الله -تعالى- على أن العبد يسأل

(١) انظر: الفتح (١١ / ٤٩٢)، حديث (٦٥٣٩).

عنها؛ ليزداد العبد فيها مراقبة، وبعضها ضررها متعدٍّ للغير فيما لو لم يحفظها، وليزداد الخوف منها؛ وهي كما يلي:

١- الكفر والشرك.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٧].

٢- الكذب في حق الملائكة.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

٣- العهود والمواثيق.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ [الأحزاب: ١٥].

٤- نعيم الدنيا الذي أنعم الله به عليه.

قال الله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، وسؤال الله -تعالى- عن هذا النَّعيم؛ ليقرر عبده بما أنعم به عليه، وهل أدَّى حقَّ هذه النعم أم لا؟ وحقها: شكرها، فإذا كان من الشاكرين لله -تعالى-، بأن تحدث بنعمة الله -تعالى-، واستخدمها في طاعته، وفيما هو مباح؛ فقد أدَّى حقها، ونال رضا الله -تعالى-، وإن لم يشكر الله -تعالى- كان جاحدًا لها.



ففي صحيح مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**»[(١)].

٥- العلم، والسمع، والبصر، والفؤاد.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال قتادة: «لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله -تعالى- سائلك عن ذلك كله»[(٢)].

وبالجملة -كما تقدَّم - كل عمل الإنسان يُسأل عنه يوم القيامة، ولكن لما جاءت النصوص بالسؤال عما قبل؛ أُفرد بالإيراد، نسأل الله تعالى التخفيف، والتجاوز.

۞ مسألة ٨٦/١٣: أول ما يحاسب عليه العبد.

- **أما أول ما يحاسب عليه العبد من الحقوق التي عليه لله -جلَّ وعلا-، هي: الصَّلاة.**

ويدل على ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ: صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٣٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير على هذه الآية.

(٣) رواه الترمذي برقم (٤١٣)، رواه النسائي برقم (٤٦٧)، وصححه الألباني.

• **وأما أول ما يقضى فيه من الحقوق التي بين الناس، هي: الدماء.**

ويدل على ذلك: حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: **«أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فِي الدِّمَاءِ»**[١].

وذلك لأنَّ الصلاة عمود الدين، وهي أفضل العبادات البدنية، والدماء هي أعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين.

وهذا من حيث الأولوية في الحساب، وإلا فبين الناس حسابات أخرى، ورأس مال العبد هو حسناته، وهذا الرأس قد ينخفض، وقد يرتفع بحسب ما كان بينه وبين الناس في الدنيا، ولربما جاء شخص بحسنات أمثال الجبال، لكنه يوم القيامة مفلس، والله المستعان.

ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»** قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: **«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي الـنَّارِ»**[٢].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّله مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»**[٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٣)، رواه مسلم برقم (١٦٧٨).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٨١).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٤٤٩).

فيا خسارة من كان مفلسًا في ذلك اليوم، يأخذ الناس من حسناته؛ لاستهانته بأعراض الناس، وأموالهم، وحقوقهم؛ فيظلمهم، فإذا هي يوم القيامة ظلمات، ففي الصحيحين من حديث عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**الظُّلمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ**»[1].

وعند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

فتنبه -أيها المبارك- وتأمل إن كنت ممن أخذ حقا من حقوق الناس اليوم، فاذهب إليه، وتحلله قبل أن تكون المقاصَّة بالحسنات، لا بالدرهم والدينار، نعوذ بالله من الظلم، وسيئات الأعمال.

❁ مسألة ٨٧/١٣: القواعد التي يحاسب العباد على أساسها[3].

هناك قواعد جاءت بها الأدلة في بيان حساب الناس يوم القيامة، فكتاب الله -تعالى- الذي بين أيدينا، فيه بيان ما يكون نجاة لنا في الدنيا والآخرة؛ إن استمسكنا وعملنا بما جاء به، فهو النبراس الذي نستقي منه الهداية، ومن ضمن ما جاء به: قواعد يكون عليها حساب الناس يوم القيامة، وهذا من تمام عدله جلَّ في علاه؛ وهي كما يلي:

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٤٧)، رواه مسلم برقم (٢٥٧٩).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٥٧٨).

(٣) انظر: هذه القواعد في كتاب القيامة الكبرى للشيخ الدكتور عمر الأشقر فقد أجاد في بسط أحوال القيامة، ومن باب عدم إجحاف أهل الفضل فضلهم فإني استفدت منه كثيرا في هذه الوريقات التي بين يديك لاسيما ما يتعلق بيوم القيامة، ومن ذلك هذه القواعد التي يحاسب العباد على أساسها وتصرفت فيما ذكر وزدت، نسأل الله الإعانة والسداد ويُسْر الحساب.

* **القاعدة الأولى: العدل التام.**

فالله -تعالى- يحاسب العباد في ذلك اليوم، ويوفيهم أجورهم كاملة لا نقص فيها، ولا مثقال ذرة.

قال الله -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:] والنصوص في إثبات هذا كثيرة مستفيضة.

ولك أن تتصور (الذرة): وهي الهباءة التي في أشعة الشمس إذا دخلت من النافذة، و(الفتيل): وهو الخيط الذي يكون في شق النواة، و(النقير): وهي النقرة الصغيرة التي تكون في ظهر النواة، فإن مقدار كل هذا لن يُفقد في ذلك اليوم، فكيف بما فوقه؟

* **القاعدة الثانية: كل شيء يجري عليه الحساب مكتوب، ومحسوب.**

قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

*** القاعدة الثالثة: لا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى.**

فلا يؤاخذ أحد بجريرة غيره ولا بذنبه، فالضال ضلاله على نفسه، فلا يتحمل أحد ضلالته مادام غير مباشر له، أو متسبب، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٣-١٥].

بل إن هذه القاعدة، قاعدة اتفقت عليها الشرائع، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾[النجم: ٣٦-٤١].

- فإن قيل: أليس من دعا إلى ضلالة يأخذ مثل آثام من أضلهم، فيحمل مثل أثقال من تبعه مع أثقاله؟

والجواب: بلى -بارك الله فيك- وقولك هذا عين الصَّواب، قال الله -تعالى-: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥].

ولكن المقصود بهذا: من يدعو الناس إلى ضلالة، وإلى ارتكاب إثم ويدلهم عليه، ويكون سببا في ذلك.

ويدل على ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن النَّبي ﷺ قال: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**[1].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

وحديث جرير رضي الله عنه المتفق عليه: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

* القاعدة الرابعة: إعذار الله -تعالى- لخلقه.

وذلك بعرض أعمالهم عليهم، وهذا من تمام عدله، أن يعرض على العباد أعمالهم يوم القيامة؛ حتى لا يكون لأحد عذر بين يديه، فيطلعهم الله -تعالى- على ما قدموه من أعمال، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

* القاعدة الخامسة: مضاعفة الحسنات.

فالله -سبحانه وتعالى- تكرمًا منه، وفضلًا؛ يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فما أعظم فضل الله -تعالى- على عباده، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠١٧).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس ﵄ عن النبيِّ ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: «**إِنَّ الله كَتَبَ الْحسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا الله لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

- **وهناك أعمال يضاعف عليها الحسنات: كـ (قراءة القرآن)**، ففي الحديث الذي رواه الترمذي، وصححه الشيخ الألباني، من حديث ابن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ؛ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

وفي (**الصدقة**)؛ قال الله -تعالى-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي (**الصوم**)؛ جاء في الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(٣).

وكذا (**الصبر**) قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

بل كل الأعمال تتضاعف، كما هو ظاهر الحديث السَّابق، نسأل الله تعالى من فضله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩١)، رواه مسلم برقم (١٣١).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٩١٠)، وصححه الشيخ الألباني.

(٣) رواه البخاري برقم (١٩٠٤)، رواه مسلم برقم (١١٥١).



* القاعدة السادسة: تبديل السيئات حسنات.

فما أعظمها من رحمة، وما أجزله من فضل؛ يجعلك تتأمل في اسمه الكريم -جلَّ في علاه، واعتلى كرمه- فله الكرم المطلق؛ قال الله -تعالى-: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالَ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هُهُنَا**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[(١)].

* القاعدة السابعة: إقامة الشهود على الناس.

والله -تعالى- مطلع على عباده لا يخفاه شيء، ولا يحتاج إلى شهود على عباده بما فعلوه، ولكن من كمال عدله، وإقامة الحجة على الناس، والتنويع في إثبات ذلك، أقام على الناس شهودًا، وهؤلاء الشهود على عدة أنواع؛ ليكون أدعى في إقامة الحجة، ولتنوع المشهود عليهم من حيث أصنافهم:

١- شهود الملائكة.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه الآية: «أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله، هذا هو ظاهر الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير»[1].

٢- شهود الرسل عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [النحل: ٨٤].

٣- شهود أمة محمد ﷺ على الخلق.

وذلك حينما تشهد الرسل على أقوامهم، فيكذبونهم وينكرون ما جاءت به الرسل كما كذبوهم في الدنيا، ويقولون ما جاءنا من نبي، فتقوم أمة محمد فتشهد للرسل، قال الله -تعالى-: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ الله -تعالى- هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ**

(١) انظر: تفسير ابن كثير على هذه الآية (٤ / ٢٢٥).

مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأُمَّتُهُ؟ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، **وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ»**[1].

٤- شهود نبينا محمد ﷺ على أمته.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

٥- تشهد الأرض بما عُمل عليها.

فحتى الجمادات تشهد أيضا، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤-٥].

٦- شهود الجوارح على أهلها من الكفار.

وتقدَّم بيان هذه الشهادة، والاستدلال لها في بيان حال الكفار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ١٩-٢١].

٧- الشهادة على النفس.

ومن ذلك حال الكفار حينما يشهدون على أنفسهم بالكفر، قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٣٩).



٨- **وأعظم شهادة: شهادة الله -تعالى- على عبده.**

فما أعظمها من شهادة في كل كبير، ودقيق في حال الإنسان، فما أعظم الله، وما أعظم إحاطته -جلَّ في علاه- حيث قال: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، وقال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فأي شهادة ستلقاها على حركاتك وسكناتك، بل في كل شأن من حياتك وعمل؟ وأي مراقبة تستشعر وأنت في دنياك؟ إنَّه ربك الذي أحاط بكل شيء علما؛ فاقدره حقَّ قدره.

* **القاعدة الثامنة: إقامة الميزان ووزن الأعمال.**

وسيأتي الكلام على الميزان في تفصيل مستقل في فصله بإذن الله -تعالى-، هذه هي القواعد التي تكون في الحساب، **نسأل الله تيسير الحساب.**

❁ **مسألة ٨٨/١٣: كيفية الحساب.**

الناس في الحساب على صنفين:

* **الصنف الأول: من لا حساب عليهم، ولا عذاب.**

وهؤلاء قلة لا يتجاوزون السبعين ألفًا -نسأل الله تعالى من فضله- ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، والنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، والنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى**

الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ» ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: **«مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟»** فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: **«هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»** فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: **«أَنْتَ مِنْهُمْ»**، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: **«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**[١].

* **فائدة:** جاء في الحديث لفظ: **«هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ»** وهي رواية شاذة انفرد بها مسلم عن البخاري، ولا تصح لعدة وجوه منها: أنها مخالفة لهدي النَّبي ﷺ فقد كان يرقي أصحابه رضي الله عنهم؛ ولأن في الرقية إحسانًا للغير، فإن الراقي محسن على غيره فكيف يُمنع هذا الفضل؛ ولأن النَّبي ﷺ قال في آخر الحديث: **«وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»** وعمل الراقي لا منافاة بينه وبين التوكل، بخلاف المسترقي، والمكتوي والمتطير.

«لَا يَسْتَرْقُونَ»: أي: لا يطلبون الرقية، **«وَلَا يَكْتَوُونَ»**: رواية جاءت في الصحيحين[٢]؛ أي: لا يتعالجون بالكي، **«وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»**: والتطير هو التشاؤم.

وسمِّي بذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يتشائمون بالطير.

والجامع لهذه الأوصاف الثلاثة قوله: **«وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، والتوكل لا بد له من أمرين:**

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥)، رواه مسلم برقم (٢٢٠).

(٢) رواه مسلم برقم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

الأمر الأول: تفويض الأمر لله -جل وعلا- واعتماد القلب عليه، مع صحة الإيمان، والمعتقد.

الأمر الثاني: فعل الأسباب التي أمر الله بها، سواء كانت دينية، كأداء الفرائض، والبعد عن النواهي، أو كانت دنيوية كالحرث، والزراعة، والتجارة ونحوها؛ لأن النصوص كثيرة في الأمر بالتوكل، ولابد من فعل السبب، وأما أن يقول الإنسان: لن أفعل السبب لأنني متوكلٌ على الله -جلَّ وعلا-؛ فهذا فهم خاطىء، وتصرُّف يُسمَّى تواكل، لا توكل.

ومما يدل على فعل السبب:

أ- قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالعزيمة سبب لابد منه مع التوكل.

ب- وأيضًا أفعال النَّبي ﷺ تدل على فعله للسبب مع توكله، وهو إمام المتوكلين فقد كان يَعُدُّ العدَّة قبل خوضه للمعارك، ويهيء أسبابها، ويرفع يديه للسماء يدعو: «**اللهمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ؛ اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»[1]، وأرشد في طلب الرزق من الله -جل وعلا- التوكل عليه وفعل السبب فقال ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ، فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ**»[2].

والنُّصوص الدالة على ذلك كثيرة، وأيضًا دلالة العقل عليها، فليس من التوكل أن يترك الإنسان الأسباب في جلب الولد، مثلًا كالنكاح، ويقول: أريد بتوكلي على

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥)، رواه مسلم برقم (٢١٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٨٠) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.



الله -جلَّ وعلا- أن يرزقني ولدًا، وكذا في الرزق وغيرها من الأمور، فلا بد من الشرطين: حقيقة الاعتماد على الله -جل وعلا-، مع فعل الأسباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التحفة العراقية: «التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد، والعقل، والشرع، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشَّرع».

فعدم طلب الرقية، والاكتواء، والتطير، مع التوكل على الله -جلَّ وعلا- سبب في دخول الجنة بغير حساب، ولا عذاب، **والإنسان مع الرقية على ثلاث مراتب:**

المرتبة الأولى: أن يطلب الرقية، فهذا يدخل مع الذين (**يسترقون**)؛ فيفوته الفضل.

المرتبة الثانية: ألا يمنع الرقية إذ عُرضت عليه، فهذا لا يفوته الفضل؛ لأنه لم يطلبها، وإنما عُرضت عليه.

المرتبة الثالثة: أن يمنع الرقية إذا عُرضت عليه، فهذا خلاف السُّنة؛ لأن النَّبي ﷺ لم يمنع عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حين رقته، وكذا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كان يرقي بعضهم بعضًا، فليس في الرقية حين تُعرض عليه فيقبلها مخالفة؛ فقد رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُول الله ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: «**بِاسْمِ الله يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ**»[١].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢١٨٥).



*** الصنف الثاني: وهم الذين عليهم حساب.**

وهم على نوعين:

النوع الأول: من يحاسب حسابًا يسيرا.

وهؤلاء لا يناقشون الحساب، أي: لا يدقق عليهم، وإنما تعرض عليهم ذنوبهم، ثم يتجاوز الله عنهم.

ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عز وجل حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى الله**»(١).

فما أعظم حلم الله -تعالى- على عبده، وطوبى لمن كان حسابه في ذلك اليوم يسيرا، فيتجاوز الله -تعالى- عنه.

قال الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حساب المؤمن: «ومع ذلك فإنَّه -سبحانه وتعالى- يضع ستره، بحيث لا يراه أحد، ولا يسمعه أحد، وهذا من فضل الله عز وجل على المؤمن، فإن الإنسان إذا قررك بجناياتك أمام الناس، وإن سمح عنك، ففيه شيء من الفضيحة، لكن إذا كان ذلك لوحدك، فإن ذلك ستر منه عليك»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٦٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص (٥١٣).

وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ الله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشقاق: ٨] فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**» وفي رواية: «**إِلَّا هَلَكَ**»، ومعناه: أن الحساب اليسير إنما هو العرض، عرض ذنوب المؤمنين عليهم، وأما لو نوقش، وحوسب لعُذِّب بالنار، نسأل الله السلامة والعافية[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «**من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**» معنى نوقش: استقصى عليه، قال القاضي: وقوله (**عُذِّب**) له معنيان:

أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ.

والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار ويؤيده قوله في الرواية الأخرى (**هلك**) مكان عذب، هذا كلام القاضي، وهذا الثاني هو الصحيح، ومعناه أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار، ولكن الله -تعالى- يعفو، ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»[2].

وهناك من عصاة الموحدين من قد يطول حسابهم ويعسر ويشتد؛ بسبب عظم ذنوبهم، وكثرتها -نسأل الله السلامة والعافية-، **ومن ذلك**:

- (**المرائين**): ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ،**

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٠٢).

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١٧ / ٢٠٨.

وَلكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

- (ومنهم الذين يتظاهرون فينهون عن المنكر أمام الناس، وهـم مقيمون عليه، ويأمرون بالمعروف، وهـم تاركون له).

ففي صحيح البخاري من حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[(٢)].

وليس المقصود به من يأمر بالمعروف ولا يأتيه، أو ينهى عن المنكر ويأتيه بسبب ضعف اعتراه، أو تقصير طارئ حل بـه، وهو مجاهد نفسه على الخلاص منه، فإن الإنسان غير معصوم عن الخطأ، وإنما الحال فيمن يتظاهر بهذا الخلق، وهو متهاون فيه، فلا يجعل العبد من هذا الحديث مدخلًا له في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٠٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٢٦٧).



وهناك غيرهم من أصناف العصاة الذين هم تحت مشيئة الله -تعالى- فإن شاء عذبهم، وإن شاء تجاوز عنهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، فيا خسارة من لم يتجاوز الله -تعالى- عنه فخف ميزانه، فحاسبه، وعذَّبه، ولاشك أن هناك من الموحدين من سيدخل النار، كما جاءت بذلك الأحاديث، نسأل الله السَّلامة والعافية.

النوع الثاني: من يحاسب حسابًا عسيرا.

فالكفار يحاسبون حسابا عسيرا شديدا كما قال الله -تعالى-: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وقال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق: ٨]، وذكر الله -تعالى- أنهم حينما يرون دقة الحساب، ماذا يقولون؟ ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وتقدَّم قريبا، قول النَّبي ﷺ: «**وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**»(١).

۞ مسألة ٨٩/١٣: إتيان العباد كتبهم.

ويا تُرى أيُّ يدٍ ستمدها؟ قلِّب يديك، وسائل نفسك من خلال عملك، وأعدَّ لهذا اللقاء عُدَّته؛ فعدَّته العمل الصالح، **نسأل الله عملًا صالحًا متقبلا.**

اختُلِف متى إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، وتوزيعها:

فقيل: إتيان العباد كتبهم إنَّما يكون في أول الحساب.

وقيل: هو آخر مشاهد يوم الحساب.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٦٨).

والأظهر -والله أعلم- (الأول)، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

ووجه الدلالة: أن الله -تعالى- ذكر إيتاءهم الكتاب أولًا، ثم عقَّب بحرف الفاء، فقال: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ فذكر الحساب والفاء تقتضي الترتيب، والتعقيب.

وقال أيضًا: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الأسراء: ١٣-١٥]، فبدأ بنشر الكتاب، ثم أُمر بالقراءة، وأنه سيحاسب، والقراءة هنا تشمل كل إنسان وإن كان أميًّا، وهذه الكتب لإقامة الحجة على العباد، فتتطاير الصحف، وتنشر الدواوين -والله المستعان-؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠].

والناس يتفاوتون في أخذهم للكتاب فآخذ كتابه بيمنه وهو المؤمن، وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره وهو الكافر، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩-٣٣].

- **كيف نجمع بين قوله تعالى:** ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥] **وقوله:** ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠]؟

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجمع بينهما أن يقال: يأخذه بشماله لكن تخلع الشمال إلى الخلف من وراء ظهره، والجزاء من جنس العمل، فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره، أعطي كتابه يوم القيامة من وراء ظهره، جزاءً وفاقا»[1].

والمجرمون مشفقون -كما تقدَّم- مما في هذا الكتاب؛ لأنه لا يغادر شيئًا، إلا وهو مكتوب.

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

*** تصوير القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ لمشهد يوم الحساب.**

«فإذا بعث العباد من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، حفاة عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه، أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأتوها، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله، أو وراء ظهره، وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه.

فتوهم نفسك يا أخي.. إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله -تعالى- وقد وكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم

---

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢/ ٤٢).

أبيك، إذ عرفت أنك المراد بالدعاء، إذا قرع النداء قلبك، فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيديهم، وقد طار قلبك، واشتد رعبك، لعلمك أين يراد بك.

فتوهم نفسك.. وأنت بين يدي ربك، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرتها! وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها! وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص، فرده عليك في ذلك الموقف، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيمًا! فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

فأما من أوتي كتابه بيمينه، فعلم أنه من أهل الجنة، فيقول: هاؤم اقرءوا كتابيه، وذلك حين يأذن الله، فيقرأ كتابه.

فإذا كان الرجل رأسا في الخير؛ يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر تبعه عليه، دعي باسمه واسم أبيه، فيتقدم حتى إذا دنى أخرج له كتاب أبيض، في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق، ويصفر وجهه، ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته، فلا يزداد إلا فرحًا، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك، قد ضوعفت لك، فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج، فيوضع على رأسه، ويكسى حلتين، ويحلَّى كل مفصل فيه، ويطول ستين ذراعًا، وهي قامة آدم، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم، وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ قال الله -تعالى-:



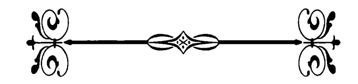
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية، قد رضيها، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ في السماء، ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أدنيت منهم، فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: قدمتم في أيام الدنيا.

وإذا كان الرجل رأسًا في الشر؛ يدعو إليه، ويأمر به، فيكثر تبعه عليه، ونودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه، فيخرج له كتاب أسود، بخط أسود، في باطنه الحسنات، وفي ظاهره السيئات، فبدأ بالحسنات فيقرؤها، ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب، وجد فيه: هذه حسناتك، وقد ردت عليك، فيسود وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه، فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنًا، ولا يزداد وجهه إلا سوادًا، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك، أي: يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزداد ما لم يعمل، قال: فيعظم إلى النار، وتزرق عيناه، ويسود وجهه، ويكسى سرابيل القطران، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فينطلق وهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ يعني: الموت، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هلكت عني حجتي. قال الله -تعالى-: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: اجعلوه يصلى الجحيم، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ قيل: يدخل عنقه فيها، ثم يجربها، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب، فينادي أصحابه فيقول: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الحزن. فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، تخلع كتفه اليسرى، فيجعل يده خلفه، فيأخذ بها كتابه، وقال مجاهد: يحول وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك.



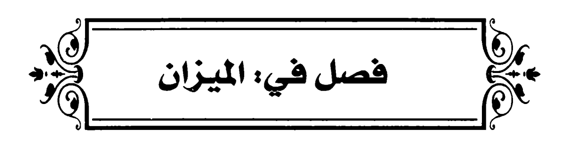
فتوهم نفسك إن كنت من السعداء.. وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه، قد حل بك الكمال، والحسن والجمال، كتابك في يمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.

وأما إن كنت من أهل الشقاوة، فيسود وجهك، وتتخطى الخلائق كتابك في شمالك، أو من وراء ظهرك، تنادي بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بها أبدًا»[١].



(١) انظر: التذكرة للقرطبي (ص ٢٥٥).





فصل في: الميزان

بعد الحساب والموقف العصيب، تنصب الموازين؛ لوزن هذه الأعمال، والصحف التي أُخذت، فمن راجحٍ عمله في الميزان، ومن مرجوح في الميزان، نسأل الله الإعانة.

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها»(١).

۞ مسألة ١٤/٩٠: ما هو الميزان؟

لغة: ما تقدر به الأشياء خفة، وثقلًا.

وشرعًا: هو ميزان حقيقي، له كفتان يضعه الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؛ لوزن أعمال العباد، وهو ميزان دقيق، لا يزيد ولا ينقص، ولا يَقْدِرُ قَدْرَ هذا الميزان؛ إلا الله تعالى.

۞ مسألة ١٤/٩١: الميزان ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وهذه الآية تدل على دقة الميزان.

ومن السُّنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، قال النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ**»(٢). وأجمع السلف -رحمهم الله- على ثبوت ذلك.

(١) انظر: التذكرة (ص٣٠٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٦٣)، رواه مسلم برقم (٢٦٩٤).



﴿ **مسألة ٩٢/١٤: الميزان حسي له كفتان حسيتان.**

ويدل على ذلك: حديث البطاقة، حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**» قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»(١).

قال الألباني رحمه الله: «والأحاديث في ذلك متضافرة، إن لم تكن متواترة».

وموطن الشاهد من الحديث قوله: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ**»، ففي هذا دلالة على أن الكفتين حسّيتان.

﴿ **مسألة ٩٣/١٤: ما الذي يوزن؟**

اختلف أهل العلم في ما الذي يوزن على أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن: **العمل**.

---

(١) رواه أحمد برقم (٦٩٩٤)، رواه الترمذي برقم (٢٦٣٩)، رواه ابن ماجه برقم (٤٣٠٠)، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه والترمذي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥).

واستدلوا بـ: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابق، قال النَّبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ**».

وحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النَّبي ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»(١).

القول الثاني: أنَّ الذي يوزن: **العامل**.

واستدلوا بـ: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(٢).

وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان دقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فَقَالَ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٣).

والقول الثالث: أن الذي يوزن: **الصحف**.

واستدلوا بـ: حديث البطاقة، وتقدم ذكره قريبًا.

والأظهر -والله اعلم-: أن كل ذلك يوزن: العمل، والعامل، والصحف؛ لدلالة الأدلة عليها جميعًا.

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٧٥٥٣)، رواه أبو داود برقم (٤٧٩٩)، رواه الترمذي برقم (٢٠٠٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٧٢٩)، رواه مسلم برقم (٢٧٨٥).

(٣) رواه أحمد برقم (٣٩٩١).



قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم»(١)، واختاره الحافظ حكمي(٢).

مسألة ٩٤/١٤: وهل هو ميزان واحد، أو موازين كثيرة؟

جاء لفظ الميزان في الآيات مجموعًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وجاء لفظ الميزان في السُّنة مفردًا، كالحديث السَّابق: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» **فهل هو ميزان واحد، أو عدة موازين؟**

قال شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختلف العلماء: **هل هو ميزان واحد، أو متعدد؟**

فقال بعضهم: متعدد حسب الأمم، أو الأفراد، أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعًا، وأما إفراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنه ورد في الحديث مفردًا، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزون، وكلا الأمرين محتمل، والله أعلم»(٣).

---

(١) انظر: تفسيره (٣/ ٢٠٢).

(٢) انظر: معارج القبول (٢/ ٢٧٢).

(٣) انظر: شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٢١).

مسألة ١٤/٩٥: الأعمال التي تثقل في الميزان.

هناك أعمال يثقل بها الميزان يوم القيامة، فطوبى لمن ثَقُل ميزانه في ذلك.

ومن الأعمال التي جاءت بها الأدلة ما يلي:

١/ حسن الخلق.

وهو أثقل الأعمال في الميزان، ولكم احتجنا لهذا العمل في كثير من شؤون حياتنا -نسأل الله أن يهدينا لأحسن الأخلاق إنه لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو-، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[(١)].

٢/ قول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ**»[(٢)].

٣/ قول: الحمد لله.

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٧٥٥٣)، رواه أبو داود برقم (٤٧٩٩)، رواه الترمذي برقم (٢٠٠٢)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٥٦٣)، رواه مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٢٣).

٤/ قول: لا إله إلا الله.

ويستدل لذلك بحديث البطاقة الذي تقدَّم قريبًا، وفيه: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**»(١).

ومن ذلك أيضًا؛ ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقُولُ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ احتبسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمانًا بِاللهِ، وتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ، ورَوْثَهُ، وبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»(٢).

و«**شبعه**» بكسر أوله أي: ما يشبع به، و«**ريه**» بكسر الراء وتشديد الياء ما يرتوي به، «**ورَوْثَهُ، وبَوْلَهُ**» يريد أن ما يخرج من الأرواث، والأبوال مأجور عليه، لا أنها بعينها توزن.

وبعد الميزان.. نصل إلى نهاية هذا اليوم العصيب، وانتظار النتيجة، والتأهب للمآل، والقرار، **نسأل الله حسن المآل ودار الأبرار.**

وقبل أن أوضح لك كيفية حشر الناس، ومرورهم على الصراط، أستميحك عذرًا أخي القارئ، في أن أقطع الترتيب الزمني؛ لأتكلم عن موضع عظيم من المواضع التي تمر بك يوم القيامة؛ ألا وهو (**الحوض**)، وإن كنا قد أعطينا إلماحةً عنه في الكلام على الموقف، وبلوغ الهم والكرب بالناس، وأنهم يشربون من الحوض، وأن هناك موضع آخر جاء في أقوال أهل العلم لهذا الحوض، وهو بعد الصراط، وهناك بيَّنا موطن الخلاف والترجيح، إلا أن الذي يهمنا هنا أن نتكلم عن صفات الحوض، وبعض مباحثه فهذا مما لم يجرِ عليه بيانٌ فيما سبق، فإليك هذه المباحث اليسيرة في فصل: (**الحوض**)، يا رعاك الله:

---

(١) انظر: ص١٧٨.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٥٣).



فصل في: الحوض

❁ **مسألة ١٥/٩٦: ما هو الحوض؟**

الحوض لغة: الجمع، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعًا: هو حوض النَّبي ﷺ، وهو مجمع ماء عظيم يرده المؤمنون في عرصات القيامة.

❁ **مسألة ١٥/٩٧: الحوض ثابت بنص السُّنة، والإجماع.**

فمن الأدلة على ثبوته:

أ- حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: قال النَّبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»[١].

ب- وحديث جندب رضي الله عنه قال النَّبي ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»[٢]، والفرط: هو الذي يسبق إلى الحوض.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، قال ابن القيم رحمه الله: «قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة، وكثير منها، أو أكثرها في الصحيح».

وقال السيوطي رحمه الله: «ورد ذكر الحوض من بضعة وخمسين صحابيًّا منهم: الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفَّاظ الصحابة المكثرون، رضوان الله عليهم أجمعون».

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، رواه مسلم برقم (٢٢٩٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٨٩)، رواه مسلم برقم (٢٢٨٩).



وأجمع أهل السُّنة على إثبات الحوض، وهو حوض يرده المؤمنون حينما يشتد عليهم الكرب في الموقف -كما تقدَّم- وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل، فيعرق الناس، ويشتد بهم العطش، فيا رب ارزقنا شربة هنيَّة من حوض نبيك ﷺ تروي عطشنا في ذلك اليوم الشديد كربه، العظيم خَطْبُه، ولا تجعلنا من الذين أحدثوا في الدين فصُدُّوا عن الحوض.

- أنكرت المعتزلة الميزان، والحوض، فلم يقولوا بثبوتهما، وأيضًا ممن أنكر الحوض: الخوارج، ويُردُّ عليهم بدلالة النَّص، والإجماع على ثبوت الحوض.

۞ مسألة ١٥/٩٨: الحوض موجود الآن.

فالحوض مخلوق الآن.

يدل على ذلك: ما رواه البخاري من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ**»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ««**وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ**» يحتمل أنه كشف له عنه لَمَّا خطب، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أنه يريد رؤية القلب»[(٢)].

۞ مسألة ١٥/٩٩: صفة الحوض.

جاءت أحاديث تبينِّ صفة الحوض، **فممَّا ورد:**

حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا**

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٤٤).

(٢) انظر: فتح الباري المجلد (١١)، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

يَظْمَأُ أَبَدًا»[١]، وفي لفظ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ**»[٢].

ولمسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»[٣].

ولمسلم أيضًا من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا: «**يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا: مِنْ ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»[٤]. أي: من فضة، ويَغُتُّ: أي: يصب.

وجاء عند أحمد في (بيان مقداره) أنه: «**كَمَا بَيْنَ عَدَنَ وَعَمَّانَ**»[٥]، وفي رواية أخرى: «**كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ**»[٦]، وفي أخرى: «**مِثْلُ مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ**»[٧].

ولمسلم من حديث عقبة رضي الله عنه: «**وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ**»[٨].

وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَا وَأَذْرُحَ**»[٩].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٧٩)، رواه مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٢٩٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٠٠).

(٤) رواه مسلم برقم (٢٣٠١).

(٥) رواه أحمد برقم (٦١٦٢).

(٦) رواه احمد برقم (٦٨٧٢).

(٧) رواه احمد برقم (١٢٣٦٢).

(٨) رواه مسلم برقم (٢٢٦٩).

(٩) رواه مسلم برقم (٢٢٩٩).

و(أيلة): بفتح الهمزة، وإسكان الياء وفتح اللام اختلف في تحديدها، وذكر ابن حجر رحمه الله؛ أن جمهور العلماء على أنها في طريق الحاج القادم من مصر إلى مكة، واختار النووي رحمه الله أنها مدينة على ساحل البحر، متوسطة بين المدينة النبوية، ودمشق، ومصر، بينها وبين المدينة خمس عشرة مرحلة.

=

والمسافات المحددة في الروايات السَّابقة بين هذه البلدان كلها متقاربة، توافق رواية: **«مسيرة شهر»**.

إذن؛ يتلخص في صفة الحوض من الأحاديث السابقة ما يلي:

- **سعته**: مسيرة شهر، وهذا تحديد بالزمان، ومن أراد التحديد بالمسافة فليتأمل المسافة بين البلدان السابقة.
- **لونه**: أبيض من اللبن وأبيض من الوَرِق، أي: الفضة.
- **طعمه**: أحلى من العسل، ومَنْ يشرب منه لا يظمأ أبدا.
- **رائحته**: أطيب من ريح المسك.
- **آنيته**: كنجوم السماء في العدد والنور واللمعان.
- **يصب فيه**: ميزابان من الجنة أحدهما: من ذهب، والآخر: من فضة.

۞ **مسألة ١٥/١٠٠: يُحرم من الحوض أقوام بدَّلوا، وغيَّروا في دين الله تعالى.**

عن أبي مليكة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أسماء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النَّبي ﷺ قال: **«إِنِّي عَلَى الْحُوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»** فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا[1].

=

و(**عدن وصنعاء**): بلدتان في اليمن، و(**عمَّان**): بفتح العين، وفتح الميم مع تشديدها، بلدة في الشام. و(**الجحفة**): بلدة بالقرب من المدينة على سبع مراحل، وهي على طريق مكة، و(**جربا وأذرح**): قريتان في الشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال.

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٩٣).



وفي لفظ لمسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا**»(١).

قال النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والرَّوافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في جور، وطمس الحق والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم»(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتدَّ عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والرَّوافض على تباين ضلالها...وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي...»(٣).

ونقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا بعد إذ هديتنا، أو نفتن في ديننا، أو نحدث فيه ما ليس على أمر رسولنا ﷺ.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٩٥).

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم المجلد الثالث، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (ص ٣٠٦).



مسألة ١٠١/١٥: الفرق بين الكوثر، والحوض.

أ/ أن **الكوثر**: في الجنة، و**الحوض**: في أرض المحشر.

ب/ **الكوثر**: نهر عظيم جاري فهو أصل، و**الحوض**: مجمع ماء فرع عن الكوثر؛ لأنه يصب في الحوض ميزابان.

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال عن الكوثر: «**نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ**»[1].

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٠٠).



فصل في: الحشر إلى دار القرار

بعدما خلص الناس من الميزان، بان من هو المنسوب للجنة في نعيم الرحمن، ومن من أهل النار أهل الضلال، والخسران.

وما أجملها من لحظة حينما تنتهي من الميزان تتأهب للدخول إلى الجنان، ويا شقاوة من كان من أهل النيران، ولك أن تتصور معي ذلك الموقف، وقد خلصت من الميزان، وجاء الآن وقت الحشر إلى الجنة، أو النار.

فإلى أين يا ترى سيذهب بك؟ -فيا ربُّ، استعملنا في طاعتك؛ لنكون من أهل جنتك، حيث الحشر إلى دار القرار، والنعيم الأبدي-، أسوق لك أخي القارئ صورة حشر العباد، فتأملها جعلك الله من أهل الجنان:

- **أولًا: حشر الكفار.**

في نهاية هذا اليوم العصيب، تأتي النتيجة بعد المرور على هذه الأهوال، والمواقف المهيبة، والمثول أمام الجبار-جل جلاله- والمحاسبة بين يديه، وبعدما تنقل كتابك، وتعرض نفسك على الميزان أنت، وأعمالك، وصحفك، تظهر نتيجة هذه المحاسبة، فيطلب من كل أمة أن تتبع الإله التي كانت تعبده، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، ومن كان يعبد القمر يتبعه، ومن كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم فيتبعونها، وكذا من كان يعبد فرعون يتبعه فيتساقطون في النار مع آلهتهم.

قال الله -تعالى- عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

فلا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون، والمنافقون، وبقايا من أهل الكتاب، ثم تبدأ التصفية لأهل الكتاب؛ لأن كفرهم ظاهر، بخلاف المنافقين فهم مع أن الله أعرف بحالهم، لكن يريد الله -تعالى- أن يقيم عليهم الحجة، ثم يلقيهم في جهنم، وهذا من تمام عدله -جل في علاه-، فتبدأ التصفية لأهل الكتاب: اليهود، والنصارى فيقيم عليهم الحجة، ثم يلقيهم في نار جهنم.

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَال رَسُول الله ﷺ: «**يَجْمَعُ الله النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ؛ فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هٰذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ الله، تَبَارَكَ وَتَعَالَى...**»(١).

وفي الصحيحين أيضا، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله. فَيُقَالَ: كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا، يَا رَبَّنَا؛ فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا؛ فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُشَارُ إِلَيهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...**» الحديث.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٧٣)، رواه مسلم برقم (١٨٢).

وفيه: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ»[1].

وهذا فيه دلالة على أن الجسر الذي هو الصراط لا يُنصب إلا بعد أن يدخل الكفار النار، وبناءً عليه فالكفار لن يمروا بالصراط، وإنما يتساقطون في جهنم قبل أن يوضع، فيتحصل أن المرور على الصراط إنما هو خاص بالمؤمنين، والمنافقين، كما سيأتي.

۞ مسألة ١٠٢/١٦: كيفية حشر الكفار إلى النار.

ورد في النصوص كيفية معينة لحشر الكفار إلى النار، على أوصاف معينة، **وهي كما يلي:**

١/ أنهم يحشرون جماعات، جماعات.

قال الله -تعالى-: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴾ [الزمر: ٧١]، وقال: ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾ [فصلت: ١٩]، ومعنى يوزعون: أي: يجمعون، تجمعهم الزبانية.

٢/ أنهم يحشرون إلى النار على وجوههم.

فهم لا يحشرون مشيًا على الأقدام، كما في الدنيا بل على وجوههم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٤].

وربما تعجبت، وقلت: **كيف يمشون على وجوههم؟** فيجيبك النَّبي ﷺ، كما روى البخاري، ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٨١)، رواه مسلم برقم (١٨٣).

يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى، وَعِزَّةِ رَبِّنَا»(١).

٣/ وهم مع هذا يحشرون عميا لا يرون، وبكما لا يتكلمون، وصما لا يسمعون.

قال الله -تعالى-: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فما أذلهم، وأهونهم في ذلك اليوم، فهم مغلوبون، قال الله -تعالى-: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

٤/ ويحشرون أيضا مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم.

قال الله -تعالى-: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

٥/ وقبل أن يصلوا إلى النار تصك مسامعهم أصواتها التي تملأ قلوبهم رعبًا، وهلعًا: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

٦/ وعندما يبلغون النار ويعاينون أهوالها يندمون، ويتمنون العودة إلى الدنيا كي يؤمنوا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

ولكنَّهم لا يجدون من النار مفرًّا: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٢٣)، رواه مسلم برقم (٢٨٠٦).

٧/ **وسيحشرون مع الشياطين أيضا على صورة مهينة، جاثين على الركب من الذل، والفزع.** قال الله -تعالى-: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٧٢][(١)].

- **ثانيًا: حشر المؤمنين والمنافقين.**

بعدما يُلقى الكفار بأنواعهم، وأصنافهم في دار قرارهم (النار) وبئس القرار، يبقى على عرصات يوم القيامة المؤمنون وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، ينتظرون مآلهم، ودار قرارهم، وينصب الجسر (**الصراط**) فوق جهنم، وحينئذ تلقى عليهم الظلمة، وهذه الظلمة تكون قبل الصراط.

ففي حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم: سأل اليهودي رسول الله ﷺ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسرِ...**»[(٢)].

إذن: هناك ظلمة تكون قبل الصراط، وهذه الظلمة إنما تأتي على المؤمنين والمنافقين، بعدما يتساقط الكفار في نار جهنم مع معبوداتهم، وينتظر المؤمنون وفيهم المنافقون الله -جلَّ وعلا-، فيأتي الله -جلَّ وعلا- بغير الصورة التي يعرفون، ثم يأتيهم بالصورة التي يعرفون، فيسألهم بأي علامة تعرفون ربكم؟ فيقولون بالساق: فيكشف الله -تعالى- عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى المنافقون الذي كانوا يصلون رياء وسمعة، لا يستطيعون السجود، كلما أراد أحدهم السجود عاد ظهره طبقا واحدًا: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

(١) انظر: القيامة الكبرى للأشقر بتصرف (ص ٢٥٨).
(٢) رواه مسلم برقم (٣١٥).

ومن هنا تبدأ نهاية المنافقين، ويعطي الله -تعالى- كل مؤمن ومنافق نورًا، وتغشاه ظلمة، ويبدأ السير في الصراط، لكن هناك يطفأ نور المنافق فيتيه، فيطلب من المؤمن نورًا؛ لأن مع المؤمن نورًا لا ينطفئ؛ بل دعاء المؤمنين حين يرون انطفاء نور المنافقين: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، فالمؤمن قد استنار بهذا الدين في الدنيا، وعمل بطاعة الله تعالى.

بخلاف ذلك المنافق الذي وإن أظهر الدين في الدنيا، فإنما هو مزيف يخفي ما لا يبدي، فجوزي من جنس عمله، فأعطي نورًا مضطربًا، كما كان يحمل دينًا مضطربا، ولم يتمسك بالإيمان على الحقيقة وإنما ظاهرًا، فيطلب المنافقون من المؤمنين أن ينتظروهم، ويعطوهم نورًا، ويقولون للمؤمنين: كنَّا في الدنيا معكم، وعلى منهجكم، فيردون: بأنكم كنتم على غواية، وفتنة، ونفاق، وظلال، واغترار بالدنيا، فحينئذ لو قدَّم المنافقون أي شيء فداء لذلك الموقف؛ لن يقبل منهم.

ثم يقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فإذا رجعوا خُدِعوا -كما كانوا يخدعون المؤمنين في الدنيا، فيجازون بجنس أعمالهم- فإذا رجعوا ضُرِب بين المؤمنين والمنافقين بسور له باب، هذا الباب باطنه فيه الرحمة، وهي الجهة التي للمؤمنين، حيث مآلهم الرحمة، والجنة، وظاهره من قبله العذاب؛ وهي جهة المنافقين، حيث مآلهم إلى العذاب، والنار، نسأل الله السلامة والعافية.

وأتركك مع الأدلة لما سبق، فتأملها فالنصوص هي نور العلم:

قال الله -تعالى-: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

هذا حال المنافقين على الصراط.

أمَّا المؤمنون فإنهم يدعون الله -تعالى- أن يتمم لهم النور، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

ويبشرون بالجنات فيا لها من سعادة عظيمة، ولحظة تطير النفس لها شوقا: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي تقدَّم ذكره، وفيه مآل الكفار من اليهود، والنصارى.

قال النبي ﷺ: «...ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا؛ فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُشَارُ إِلَيهِمْ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله -تعالى- مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي أَدْنَىٰ صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ الله لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ الله ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ،

وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ...»(١) وسيأتي.

وعند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ على كوم فَوْقَ النَّاسِ، فَيُدْعَى بالأُمَمِ بأَوْثانِها، وما كانَتْ تَعْبُدُ، الأَوَّلَ فالأَوَّلَ، ثُمَّ يأْتِينا رَبُّنا عز وجل بَعْدَ ذلِكَ فَيَقُولُ: ما تَنْتَظِرُونَ؟ فيقولُونَ: نَنْتَظِرُ رَبَّنا عز وجل فيقُولُ: أنا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إلَيْهِ» قال: «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ عز وجل وَهُوَ يَضْحَكُ، وَيُعْطِي كُلَّ إنْسانٍ مِنْهُمْ منافِقٍ، وَمُؤْمِنٍ نُورًا وَتَغْشاهُ ظُلْمَةٌ، ثمَّ يَتْبَعُونَهُ مَعَهُمُ المنافِقُونَ على جِسْرِ جَهَنَّمَ فِيهِ كَلالِيبُ وَحَسَكٌ، يأْخُذُونَ مَنْ شاءَ ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ المنافِقِينَ، وَيَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...»(٢).

- عرفت مما سبق كيف تكون نهاية الكفار، وكيف تكون نهاية المنافقين، وأنهم إلى جهنم، وبئس المصير، وإن تنوعت طريقة إدخالهم النار، إلا أن كل واحدة من الحالين تبين مقدار الذل، والمهانة التي وصلوا إليها، حتى دخلوا دار قرارهم، وقد كانوا يتمتعون في الدنيا، والله -تعالى- يحذرنا من الاغترار بهم، وأن متاعهم، ونعيمهم قليل، ومأواهم جهنم، وبئس المصير.

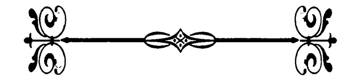
ولعلك أدركت هذا المعنى جيدًا، حينما رأيت كيف هي قلة المتاع، وما يتنعمون به في الحياة الدنيا، لكن هذا المتاع يقابله خلود في النار، فلا موت، والله المستعان: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٞ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٞ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٨].

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٣).

(٢) رواه أحمد برقم (١٤٧٢١).

ونكمل المسير في بيان حال المؤمنين حتى يدخلوا دار قرارهم، فقد وصل أهل الإيمان إلى الصراط، فإليك مباحث يسيرة في فصل: (**الصراط**) أحسن الله لي ولك التجاوز كأسرع تجاوز.



فصل في: الصراط

مسألة ١٠٣/١٧: ما هو الصراط؟

الصراط لغة: الطريق الواضح الواسع.

وشرعًا: جسر ممدود على جهنم، يعبر الناس عليه إلى الجنة.

مسألة ١٠٤/١٧: الصراط ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فقد فسَّرها عبد الله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم رضي الله عنهم بالمرور على الصراط، وفسَّرها جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار، لكن ينجون منها.

وأمَّا الكفار، والمنافقون فواضح دخولهم النار، فتكون الآية في حقهم على ظاهرها.

ومن السُّنة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل وفيه: «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»[١].

وأجمع أهل السُّنة على إثبات الصراط.

مسألة ١٠٥/١٧: حال المؤمنين حين المرور على الصراط.

تقدَّم أن عرفت شيئًا من ذلك، فالمؤمنون إذا وضع الصراط فوق جهنم، سيكون الحال ظلام دامس، وتحت الصراط نار سوداء مظلمة، فلا يمكن أن يتجاوزوا إلا بنور من الله -تعالى- فيعطيهم الله -تعالى- نورًا كما سبق.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٤٠)، رواه مسلم برقم (١٨٣).

قال الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

وتكون سرعة تجاوزهم الصراط على حسب أعمالهم، ولا تظن أن المرور على الصراط هيِّن، فالنار أسفل منه، والصراط مدحضة؛ أي: زَلْقٌ، تَزْلُقُ فيه الأقدام، وفيه كلاليب؛ أي: حديد معطوفة الرأس، تعلق فيها الأشياء، تخطف؛ أي: تسلب الأشياء بسرعة، ويكفي في ذلك أنه فوق جهنم؛ ولذا دعاء النَّبي ﷺ والرسل -عليهم الصلاة والسلام- حينئذ: «**اللهمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**»، وما ذاك إلا لهول الموقف، والناس يمرون بحسب أعمالهم، ومن الناس من يكون عمله قليلا لا يسعفه أن يمر، ويتجاوز الصراط، فيسقط في جهنم، والعياذ بالله.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ فذكر حديث الشفاعة، وفيه -: «**فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنبَتَي الصِّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ، وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ، إِلَّا زَحْفًا**» قَالَ: «**وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ: كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»[1].

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتفق عليه، قال النَّبي ﷺ: «**...ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا**

---

(١) رواه مسلم برقم (١٩٥).

شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ...»[١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته الواسيطة: «يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم». نسأل الله حسن التجاوز عن ذنوبنا في الدنيا، وعلى الصراط يوم الفرار.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذكر الأمانة، والرحم في الحديث السابق: «أي: يقفان في ناحية الصراط، والمعنى: أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما، وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين، والخائن، والواصل، والقاطع فيحاجان عن المحقِّ، ويشهدان على المبطل»[٢].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٤٠)، رواه مسلم برقم (١٨٣).
و(**مدحضة مزلة**): أي زَلْقٌ، تَزْلُقُ فيه الأقدام، (**كلاليب**): جمع كلُّوب؛ وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم، ويرسل إلى التنور، (**خطاطيف**): والخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة، و(**الحسك**): نبات خشن يتعلق بأصواف الغنم وربما اتخذ شبيهًا له من حديد؛ ليكون من آلات الحرب.

(٢) انظر: الفتح المجلد (١١) كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم.



مسألة ١٠٦/١٧: أول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ومن الأمم أمته.

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: «**فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١).

قال النووي رحمه الله: «**«وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ»** معناها: لشدة الأهوال، والمراد لا يتكلم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها، وتجادل كل نفس عن نفسها، ويسأل بعضهم بعضًا ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين -والله أعلم-، قوله ﷺ: «**وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» هذا من كمال شفقتهم، ورحمتهم للخلق، وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن، فيدعى في كل موطن بما يليق به، والله أعلم»(٢).

والمرور على الصراط عام للمؤمنين، ومن ادَّعى الإيمان (كالمنافقين) ولكن المنافقين لا يجاوزون الصراط، بل الصراط آخر محطة لهم إلى النار، والعياذ بالله.

مسألة ١٠٧/١٧: وهل الصراط واسع أو ضيق؟

اختُلف في سعة الصراط على قولين:

القول الأول: أن الصراط طريق واسع.

واستدلوا بـ:

أ- أن الصراط في اللغة، هو: الطريق الواسع.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٧).

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم المجلد الثاني، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.



ب- وبقول النَّبي ﷺ في صفة الصراط: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلَالِيبُ**»[(١)].

ووجه الدلالة: أن الدحض، والمزلة، والكلاليب لا تكون إلا في طريق واسع.

والقول الثاني: أن الصراط طريق دقيق، ضيق جدًّا.

واستدلوا بـ: ما رواه مسلم من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»[(٢)] وبنحوه عند أحمد جاء مرفوعًا من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[(٣)].

وجاء عند الحاكم من حديث سلمان مرفوعًا أنه كحد الموسى، والله أعلم بالراجح.

ومن خلال الخلاف السابق تبيَّن لنا صفة الصراط، وأنه ممدود فوق جهنم عليه كلاليب، وخطاطيف تخطف الناس بحسب أعمالهم، نسأل الله السَّلامة والتجاوز.

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ مصورًا المرور على الصراط: «تفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلًا عن حدة الصراط.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، رواه مسلم برقم (١٨٣). من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، «ومدحضة مزلة»: أي: زلق تزلق فيه الأقدام، «كلاليب»: جمع كُلُّوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم، ويرسل إلى التنور، «خطاطيف»: والخطف: استلاب الشيء، وأخذه بسرعة.

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٣).

(٣) رواه أحمد برقم (٢٤٧٩٣).

فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثاني، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلوا أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه».

نسأل الله -تعالى- حسن التجاوز، فيارب، امنن علينا بهداية، وكثرة طاعة تجيزنا الصِّراط بسرعة فائقة، نبلغ بعدها المنازل العالية.

۞ مسألة ١٧/١٠٨: ثم بعد الصِّراط يقف المؤمنون في القنطرة.

وتقدَّم أن من أهل العلم من يرى أن الحوض هذا هو موضعه بعد الصراط، وقبل دخول الجنة -وتقدَّم بيان المسألة-، وأمَّا القنطرة فهي مكان خاص بالمؤمنين يقتص لبعضهم من بعض، اقتصاصًا يكون به تهذيب نفوسهم، وإزالة ما في القلوب من الغل والحسد، قبل أن يدخلوا الجنة العالية، وهذا اقتصاص غير الاقتصاص الأول، فيهذبون من الشوائب قبل دخول الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»[1].

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٣٥).



وبعدها يأتي الفوز العظيم، والنعيم المقيم.

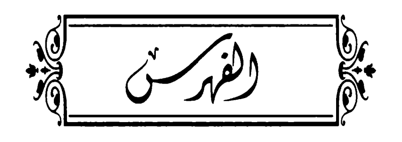
نعم.. إنها الجنَّة دار قرارنا -نسأل الله تعالى من فضله ذلك المبتغى العظيم- حيث ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، خذ بخيالك وتفكر في أنعم نعيم تريده، فإذا انتهيت فاعلم أن في الجنة فوق ما تتصور، وتتخيل وما لا يخطر على بالك.

قال تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

ما أجملها من دار قرار؛ قال الله -تعالى- عنها: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾»(١).



(١) رواه البخاري برقم (٣٢٤٤)، رواه مسلم برقم (٢٨٢٤).



الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

٣- فصل في: [ما ينبغي فعله لمن نزل به الموت]

٤- فصل في: [الاحتضار، وخروج الروح]

٥- فصل في: [ما ينبغي فعله بالميت بعد موته]



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

٧- فصل في: [القبر]

٨- فصل في: [البعث]



الموضوع	الصفحة

٩- فصل في: [الحشر]

١٠- فصل في: [أهوال يوم القيامة]

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

١٦- فصل في: [الحشر إلى دار القرار]

١٧- فصل في: [الصراط]

